

روايات مصرية للجيب
24
فانتازيا
فليدخلْ التنِّين !

مقدمة

اسمها (عبير عبد الرحمن)

إنها لا تملك شيئًا من رقة اسمها ، ورشاقة اسمها ..

إن (عبير) ليست جميلة بأىّ مقياس ، ولا تجيد القتال أو قيادة السيارات ، وليست عالمة أو أديبة ممثلة ، ولا تملك مؤهلاً دراسيًّا محترمًا ..

إن (عبير) هى إنسانة عادية إلى درجة غير مسبوقة .. إلى درجة تجعلها فريدة من نوعها .. وتجعلها جديرة بأن تكون بطلة السلسلة ..

لقد قابلت (عبير) (شريف) .. خبير الكمبيوتر الثرى الوسيم - والأهم من هذا - العبقرى .. وكان (شريف) وقتها يبحث عن فتاة عادية جدًّا ولا تملك أىّ ذكاء .. هذه الفتاة ستخضع لاختبار جهاز (صانع الأحلام) الذى ابتكره ، وهو جهاز قادر على استرجاع ثقافة المرء ، وإعادة برمجتها فى صورة مغامرات متكاملة ..

ولأن (عبير) تقرأ كثيرًا جدًّا .. ولأن عقلها مزدحم

سنلقى الكثير من الفيروسات القاتلة .. والسحرة المجانين .. وأكلة لحوم البشر .. والمرتزقة الذين لايمزحون .. وسارقى الأعضاء البشرية .. والعلماء المخابيل ..

سنلقى كل هذا .. ونلقى محاولات طبيبنا الشاب كى يظل حيًّا .. وكى يستطيع فى الوقت ذاته أن يظل طبيبًا ..

تعالوا نلحق بوحدة (سافارى) فى (الكاميرون)..

تعالوا ندخل الأدغال ونجوب (السافانا) ونتسلق البراكين ..

تعالوا نواجه المرض مع فريق (سافارى) ..

★ ★ ★

على مرّ السنين .. ولم يكن من حقنا أن نكون جزءًا منه .. لكن هذا فى مقدورنا الآن ..

لسوف نرحل جمعيًا مع (عبير) إلى (فانتازيا) .. نضع حاجياتنا وهمومنا فى القطار الذاهب إلى هناك ..

هو ذا جرس المحطة يدق .. وهدير المحركات يدوى .. إذن فلنسرع !

★ ★ ★

١ـ ماذا تختارين ؟

عند الغروب بدأت الطقوس النهائية ..

وكان القوم واقفين يرمقون بذعر ما عساه يحدث ، و(عبير) نفسها وقفت على بعد أمتار من (جيانغ ـ سه) ، تمضغ ضفيرتها الطويلة فى نهم وجزع ، بينما اشتعلت المشاعل فى كل صوب لتعطى الكلمة الأخيرة لهذا الجو الكابوسى الخانق .. رائحة الشحم المحروق الممزوجة بالعرق ، والدخان الذى يهيّج الحبال الصوتية ، وحرارة الجو الثقيلة .. ثم الوهج !

آه من الوهج الذهبى الكريه للنيران يرسم على الوجوه القلقة ألف ظل وظل ! ظلال تولد وتتلاشى بذات السرعة الخاطفة التى يولد فيها هذا القبس أو يخبو ..

ومدت يدها إلى صدرها تتحسس القلادة .. تستطيع

أن تتخلص منها الآن .. تستطيع أن تلقيها فى أى مكان .. إنها تراث الأجداد وقسم مقدس ، لكن الضرورات تبيح المحظورات ..

مدت يدها إلى القلادة ، وعالجتها فى رفق .. ولكن .. آى ! إنها ساخنة كالنار ! إنها قطعة من حديد محمى يحرق الأنامل بلا رحمة ..

هذه لعنة يصعب الخلاص منها ، ولا يوجد مفر من أن تواجه قدرها بشجاعة ، وأن تتحدى التنين .. ومن يدرى ؟ لربما تظل حية كذلك ..

★ ★ ★

بدأ كل شىء كما تعلمون برحلة فى (فانتازيا) مع المرشد ..

يتساءل البعض ـ ومعهم كل الحق فى ذلك ـ عن مصير الخطاب الذى وجدته (عبير) فى جيب (شريف) ، وكيف واجهت الأمر كله ؟ أقول لهم : إن (عبير) ليست من هؤلاء الذين يتخذون قرارات

قاطعة حاسمة بسهولة .. لقد أرجأت التفكير فى الأمر إلى ما بعد ، وقررت أن تؤخر لحظة المواجهة قدر الإمكان .. وكانت بطبيعتها تعرف أن المواجهة ستكون عنيفة باترة ، وأنها ستقول كلامًا شرسًا ، ولسوف يرد (شريف) بكلام أكثر شراسة .. إن الطلاق ذاته لم يعد مستحيلاً إلى هذا الحد ، خاصة أنها لن تصدق حرفًا مما سيقوله (شريف) ، ولكم ودت لو تصدق ..

وكانت (عبير) فى طفولتها تلجأ لواحدة من حيلتين ، كلما ضاقت بها السبل ولم تعرف كيف تواجه الواقع . كانت تندس فى سريرها وتقرأ حتى تحمر عيناها ، أو تندس فى سريرها وتحلم حتى يوقظها أحد .. وفى الحالتين كانت تحلم .. بعينين مفتوحتين أو مغلقتين .. المهم أنها تحلم وأنها تهرب من معركة الواقع .. سمِّ هذا سلبية أو سمِّه جبنًا ، لكنه حل يصلح لـ (عبير) وحدها ولا يناسب سواها ..

كانت تعرف أن المواجهة قادمة لا محالة ، لكنها

فضلت أن تؤجلها قليلاً .. ودخلت فراشها صامتة ساهمة كاسفة البال ، وراحت تتذكر مغامرتها على القمر مع (جول فيرن) و(هـ . ج . ويلز) ، بالطبع لأنها كانت آخر من يريد التفكير فى الواقع الآن ..

وصحت فى السادسة على بكاء الطفلة تريد شيئًا ما ، من الأشياء التى يبكى الأطفال دائمًا بسببها فى السادسة صباحًا ، والتى ـ للأسف ـ لا يعرف كاتب هذه السطور شيئًا عنها ، لأنه يفضل أن يكون مسئولاً عن وشق الإستبس ، ولا يكون مسئولاً عن رعاية رضيع ..

فى العاشرة حملت الطفلة على ذراعها ونزلت إلى السوبر ماركت القريب ؛ لتبتاع لوازم الغداء ، ثم عادت فطهت شيئًا ما بشكل مرتجل ، وكانت الطفلة قد قررت أن تظفر بنوم الظهيرة المعتاد .. النوم الذى يبدأ فى الثانية عشرة ظهرًا ويستمر حتى الثالثة بعد الظهر ..

(شريف) ـ الوغد ـ لن يعود قبل الخامسة مساءً ،

وفى الغالب سيكون هذا هو الوقت ليعطى تفسيرًا .. والتفسير لن يقنعها حتمًا ، ولسوف يكون هناك الكثير من الصراخ والهستيريا ، ولسوف تطلب أخاها ويطلب هو أمه فى الغالب ، وبعدها لن يكون مفر من اشتعال البنزين ، لأن القادمين لن يمارسا دور المصلحين الاجتماعيين طبعًا .. تبًا لـ (شريف) .. إنه هو المسئول عن كل هذا ..

وهكذا قررت أنها بحاجة إلى القليل من (فانتازيا) .. القليل منها جدًا قبل أن تأتى (لحظة الحقيقة) ..

إن (فانتازيا) هى المهرب الوحيد أمامها الآن فى عالم مصمم على أن يقهرها ويحطمها .. حيث لا يوجد سوى سبيلين للفرار : إلى أعلى أو إلى داخل الكمبيوتر ، حيث عالم الأحلام الافتراضى ينتظر ..

جلست على المقعد المختار ، وكانت تعرف أن المغامرة لن تستغرق أكثر من ساعة على الأرجح .. لن تصحو الطفلة لأنها لم تفعل هذا منذ ولدت ..

ثبتت الأقطاب على رأسها ، وضغطت على مفتاح الإدخال ، وبدأ (دى - جى - ٣) يمارس مهمته الساحرة ..

★ ★ ★

ومن وسط الضباب يلوح لها المرشد قادمًا فى تؤدة ، وكان يلوّح بعصا صغيرة من الأبنوس عليها بضعة زخارف ، ومن بعيد يقف قطار (فانتازيا) المضحك ، والدخان يتصاعد من مدخنته الأمامية ، وهدير المحركات لا ينقطع ..

سألته مشيرة إلى العصا :

- « أين القلم ؟ »

- « ضاع .. إن الأقلام تضيع مثل أى شىء آخر »

- « هذا لحسن حظى .. لابد أنك شفيت من داء الـ (تك تتك تك !) »

- « ليس تمامًا »

ولدهشتها وجدتْ أن الطرف العلوى للعصا يستخدم كقداحة ، وكان هذا مصدر التسلية الجديد للرجل .. راح يشعل القداحة ويطفئها ملايين المرات حتى حطَم أعصابها تمامًا ، وخطر لها أن القلم كان أكثر رحمة ..

مد يده كأمراء القصص المصورة يساعدها على ركوب القطار ، ثم طرق سقف العربة بطرف العصا ، فبدأ القطار يتحرك ببطء ، وراح يشق طريقه وسط أرض الأحلام التى صنعها الحالمون عبر العصور .. ومن حين لآخر .. توووووووووووت ! ليسعد الأطفال لو كان أحدهم هنا ..

قال لها فى خبث :

- « يبدو أن مزاجك سيئ حقًا اليوم .. »

- «إنه أسوأ مزاج يمكن للسان بشرى أن يصفه .. »

- « لم أعُد أراك إلا فى حالة نفسية سيئة .. »

- « لأن (فانتازيا) هى الهرب .. ونحن لا نهرب

إلا من خطر داهم يتهددنا ، فلو كان الواقع أجمل لما رأيت وجهى هنا أبدًا .. »

تنهد وقال وهو ينظر من النافذة :

- « كما يقول (كامى) : ليست مشكلة الحياة أنها كريهة لا تطاق .. المشكلة أنها كان يمكن أن تكون أفضل بكثير .. ما علينا .. هل اتخذت قرارًا بصدد مغامرة اليوم ؟ »

فكرت قليلاً وحكت شعرها .. نظرت خارج النافذة ، فرأت (زورو) بعباءته السوداء يبارز مجموعة من الجنود المكسيكيين الأوغاد ، وبعد خطوات قليلة تتقدم (أندروميدا) العذراء الجميلة إلى البحر قربانًا للأخ التنين (كراكون) المتحمس ، الذى أرسله سادة (الأوليمب) انتقامًا من غرور أمها الحسناء (كاسيوبيا) . وكل العذارى فى الأساطير الإغريقية لا نفع لهن عمومًا إلا كقرابين ..

بعد هذا ، ترى (عنترة) العبسى يتقدم قافلة الألف

ناقة عائدًا من عند (كسرى) ، والألف ناقة بالطبع هى مهر (عبلة) .. وفى مكان آخر يقتاد الجنود (ديمترى كرامازوف) بتهمة قتل أبيه وهو لم يفعلها ، وتلقى (آنا كارنينا) بنفسها تحت القطار هربًا من حب فاشل ، وينقض اللصوص على (أكاى أكاكيفيتش) ليسلبوه المعطف الذى كان يحلم به من أول سطر فى قصة (جوجول) الشهيرة ..

(أوليفر تويست) يبحث عن حافظة ينشلها ، وهو يجهل تمامًا فن النشل ، لكنه يخشى أن يضربه اليهودى (فاجن) .. و...

كانت هناك مدينة صينية قديمة .. الناس يحتشدون بعيونهم الضيقة ، يرمقون فى انبهار المواجهة الرهيبة بين فتى عارى الصدر ، له ضفيرة طويلة تتدلى على ظهره ، وعجوز أشيب يرتدى ما يشبه المنامة الزرقاء الواسعة . وها هو ذا الصراع بينهما يبدأ بوثبات لا يمكن أن تصدقها ما لم ترها .. وعلى سبيل إظهار القوة يهوى العجوز

بسيف يده على جذع شجرة فيشطره إلى نصفين ، فيصق الفتى فى كفيه ويطلق صرخة مروعة ..

- « ما هذا العالم يا مرشد ؟ »

نظر من النافذة وتثاءب ، ثم قال :

- « هذا عالم الرياضات الآسيوية القتالية .. عالم الكونج فو والجيدو والكاراتى والجيجوتسو والـ ... »

- « هل هذا نوع أدبى معروف ؟ »

- « بل هو عالم سينمائى بالكامل .. من الواضح أنك كنت تهوين تلك الأفلام فى الماضى .. لم تر مصر أى فيلم كاراتى حتى الآن ! »

- « يا سلام ! وماذا عن كل الأفلام الملأى بالرعاع الذين يتبادلون الركلات ويتصايحون : هى .. هو .. هاه ؟ »

ابتسم فى ثقة كعادته حين يصحح معلومة :

- « هذه أفلام (كونج - فو) فى الواقع ، لكن

غير الخبراء - وهم رجال الشارع فى حالتنا هذه - لا يفرقون بين رياضة آسيوية وأخرى .. إن الغرب لم يكن يعرف شيئًا عن هذه الأمور ، حتى فوجئ بفيلم قادم من (هونج كونج) اسمه (الرئيس الكبير) ، وكان بطله شابًا صينيًا نحيلاً اسمه (بروس لى) .. وهنا أدرك الموزعون أنهم أصابوا منجمًا من ذهب ، وسرعان ما بدأت دبلجة تلك الأفلام ، وصارت (هونج كونج) تنتجها فى خطوط تجميع - كأنها سيارات - حتى إن تصوير بعض الأفلام كان يتم فى أسبوع .. النتيجة هى أن حمى (الكونج - فو) أصابت العالم بأسره ، وغدا (بروس لى) أسطورة ، وفتحت له السينما الأمريكية ذراعيها ، حتى إن عدد الأفلام التى قام بها بعد موته يفوق كل ما قام به وهو حى !! »

- « كيف ؟ »

- « إنهم مزورون بارعون .. وهم يلعبون على حقيقة أن الآسيويين يتشابهون بالنسبة للمشاهد الغربى، وبالتالى يصلح أى شخص نحيل أصفر كى يقنع المشاهد

أنه (بروس لى) .. بل واعتمدت بعض الأفلام على لقطات كبيرة مأخوذة من أفلام (بروس لى) الحقيقية ، تدمج دمجًا مع ممثلين آخرين يتصارعون .. المهم أن هذه الأفلام بيعت كالكعك الساخن .. على كل حال لم تعد تلك الأفلام بالنجاح القديم لها ، وصارت الأفلام الحديثة ـ على غرار أفلام (جاكى شان) ـ لا تأخذ نفسها بجدية مطلقة .. إنها أفلام صنعت بالكامل من أجل المرح .. »

كانت (عبير) تتذكر .. لقد رأت بعض هذه الأفلام بالفعل مع خالها ، وكان هو يعتبرها أعمالاً مقدسة لا تحتمل مجرد المناقشة ، وبالنسبة له كان (بروس لى) وسواه أشخاصًا حميمين جدًا كأنهم من نفس شلة الحارة .. بينما هى بطبيعتها الحالمة لم تفهم كل هذه الجاذبية فى أناس يضربون بعضهم حتى تسيل دماؤهم أو تنفجر بطونهم .. ولم تفهم قط فيلمًا واحدًا منها بضمير مستريح ؛ لأن مقص الرقيب كان يمارس عمله بحرية تامة .. دعك بالطبع من

النسخة الرديئة التى ليس لها سوى لونين : الأصفر والبنى الخشنين المليئين بالخدوش .. وأمكنها ـ برغم قلة ما رأت ـ أن تميز نوعين من تلك الأفلام :

أفلام رعاع (هونج كونج) ذوى القمصان المشجرة ، الذين يضربون المارة فى الشوارع ، ويُهرِّبون المخدِّرات ويتحرشون بالنساء طيلة اليوم .. وأفلام (الخان الأعظم) التى تدور أحداثها فى الصين القديمة ، حيث الحكماء بلحاهم الطويلة والأميرات الجميلات ذوات الضفائر ، والسيوف المسحورة ..

من هنا ـ تذكرت ـ جاءتها كل هذه الخبرات عن هذه الأفلام ، وأدركتْ أن المغامرة فى هذا العالم هى ـ من جديد ـ مغامرة من تلك التى لاتستند إلى نص أدبى أو تاريخى ، ومثلما حدث فى مغامرتها مع الغرب الأمريكى .. لِمَ لا ؟ إن السينما تشكل الكثير من وجدان إنسان العصر سلبًا أو إيجابًا ، ويقال إن التليفزيون لعب اليوم فى حياة الغربيين نفس ما كان يلعبه (ديكنز) فى حياتهم قديمًا ..

لِمَ لا تجرب ؟ إن (فانتازيا) قادرة على جعلها تعيش المغامرة بتفاصيلها بدلاً من أن تنتقدها .. وعلى كل حال لابد من الاختيار ، وهى زاهدة اليوم كل الزهد فى الاحتمالات الأخرى التى رأتها حتى الآن ..

- « دعنى أجرب هنا يا (مرشد) .. »

ثم رفعت إصبعها منذرة :

- « لكن دعنى ألعب دورًا إيجابيًا .. إن النساء فى هذه القصص لا يتجاوز دورهن دور الضحايا الصارخات معدومات الحيلة .. كأنهن دجاج ينتظر الذبح .. أريد أن ألعب دورًا .. »

- « سأفكر فى هذا .. أحسنت إذ أخبرتنى مسبقًا .. »

وشد الحبل ليوقف القطار ..

ومن هنا بدأت مغامرة جديدة ..

* * *

٢ ـ المعلم ..

الآن هى ترتدى ما يشبه المنامة الزرقاء الواسعة ، وعلى كتفها تتدلى ضفيرة جميلة غزيرة الشعر ، طالما اشتهتها فى مراهقتها .. قدماها الدقيقتان فى خف قماشى مريح ، وتعرف أن اسمها (فو ـ لى) .. لا بأس .. إنه اسم سهل النطق يمكن أن يعلق بالذاكرة .. وتدرك أنها رقيقة جميلة خفيفة الحركة ..

إنها تدخل مدينة .. مدينة تمُت لعالم الشرق الأقصى طبعًا .. معابد بوذية وكونفوشيوسية فى كل صوب وسوق ـ دائمًا السوق فى بداية كل مغامرة لها فى (فانتازيا) ـ وفرسان ، ونساء يحملن الماء على أكتافهن بتلك العصا ، التى تحمل قربة عند كل طرف ..عربات ريكشا يركبها أثرياء يرفلون فى الحرير ، ويجرها فتية ناحلون ممزقو الثياب يعانون سوء التغذية ..

المشهد يذكرها بالنوع الثانى من أفلام القتال الآسيوى :
أفلام الخان الأعظم التى تقع فى الصين ذاتها فى فترة ما من تاريخها ، قبل أن يطيح (صن يات صن) بكل الأباطرة السابقين .. والطريف فى الأمر أن كل شىء كان مصبوغًا باللون الأصفر والبنى كما اعتادت فى تلك الأفلام .. حتى أوراق الشجر كانت بنية اللون ..

كل شىء حولها مزخرف جميل .. وكل شىء عامة فى الصين له طابع صينى زخرفى لا تخطئه العين .. حتى الطيور المحلقة والدجاج والأشجار وأسقف البيوت .. كأنما رسمت كلها بريشة مثقلة بالحبر الشينى ..

تتوقف عند بائع البرتقال لتتأمل البرتقال الأنيق .. أروع برتقال يمكن أن تراه فى حياتك ..

يغريها البائع ببضاعته ، فيتكلم بتلك الطريقة الشبيهة برنين الأجراس ، والتى تفهمها كالعادة :

- « هلا جربت أفضل برتقال فى المدينة المسحورة أيتها الحسناء الغريبة ؟ ما اسمك ؟ »

- « اسمى (فو - لى) .. وليست معى نقود .. »

من الممتع أن تفهم الحوار مباشرة دون ترجمة على الصدور ، أو دوبلاج يجعل حركات الشفاه غير متسقة مع مخارج الأحرف ..

يمد يده لها ببرتقالة ، وينحنى بعنف :

- « هى لك مكافأة على هاتين الغمازتين .. »

مدت يدها لتأخذ البرتقالة شاكرة ، فقط عندما بدأت المتاعب ..

* * *

والمتاعب الجديدة هنا لم تتخذ شكل خيول راكضة أو كلب مسعور أو حصان ثائر - كما هى العادة فى (فانتازيا) - ولكن اتخذت شكل مجموعة من الأوغاد ..

كيف عرفت أنهم أوغاد ؟ هذا سهل تمامًا ولا يحتاج إلى موهبة .. الأوغاد هم الأوغاد سواء فى حارتها أو فى الغرب الأمريكى أو فى المدينة المسحورة كما دعاها البائع .. نفس الضحكة

السمجة والمشية المتثاقلة المتئدة والعينين الآثمتين المليئتين بالسايكوباثية .. أطلق البائع سبة صينية لم تفهمها ، وتراجع للوراء ، بينما الأوغاد يتسلّون بركل السلال هنا وهناك ، وتوجيه بعض الصفعات إلى أقفية الشيوخ ، وما إلى ذلك من النشاطات المحببة للرعاع حول العالم ..

أخيرًا وجدوها ، وكان من المحتم أن يتحرشوا بها ..

أولهم – وزعيمهم – دنا منها فى ثقة ، وهو يلوك شيئًا ما ، ثم مد يدًا وقحة يتحسس بها شعرها ، وقال :

– « ما رأيكم يا رفاق ؟ بحق السيف الذى سيطيّر عنقى إنها لغندورة .. »

أبعدت يده فى عصبية ، لكنه بدا مستمتعًا بكل هذا .. ومن وراء منضدة البيع صاح البائع :

– « (سونج بياو) ! دع هذه الفتاة فإنها ليست من طرازك ! »

بصق ما كان يلوكه فإذا بها بعض الزلابية ، وقال وهو يرمق الشيخ :

– « وما طرازى ؟ حذار أيها الشيخ .. إنك توشك على إثارة حنقى .. »

وصاح صائح منهم :

– « لماذا لا نصحبها معنا يا (سونج بياو) ؟ إننا سنحكى لها الكثير من قصص ما قبل النوم !! »

ومعه انفجروا ضاحكين على الدعابة القوية ، وخطر لـ (عبير) المذعورة أن دعابة الصينيين عسيرة الفهم حقًا ؛ فهم ينفجرون ضحكًا بلا سبب أحيانًا ..

الموقف سيئ .. فالحقيقة أنهم يحيطون بها تمامًا الآن ، وعددهم لن يقل عن العشرة بحال .. والناس فى السوق تظاهروا بأنهم لايرون شيئًا ، واصطنع كل منهم أذنًا من طين وأخرى من عجين ..

وجدت ثغرة ما فى صفوفهم ، فأحنت قامتها واندلعت كالوشق تحاول عبورها ، فقط لتجد وغدًا

منهم يقف فى وجهها ، ويتحسس قلبه كأنما طعن فيه ، بحركة هيام تمثيلية ، فينفجر الجميع ضحكًا ..

أما من نهاية لهذا الموقف ؟ لابد من نهاية ما ..

تجرب ثغرة أخرى ، لكنهم أحبوا هذه اللعبة ، وسرعان ما أغلقوها أمامها .. لا مفر من هنا .. ولسوف يظل الناس صامتين مسالمين حتى يحملها هؤلاء الأوغاد إلى وكرهم حملاً .. قررت أن تبدأ العراك .. إن المرأة تملك سلاحين بتّارين هما أظفارها وأسنانها ، وبهما تستطيع أن تهزم الجيوش .. ليكن .. ستعض وتخمش وتركل .. ثم ..

هنا ظهر العجوز (هياو - شى - فانج) ..

* * *

منحنى القامة كأنه جذع شجرة عجوز .. لحيته توشك أن تلمس الأرض فيتعثر فيها .. ثيابه أقرب إلى الأسمال .. تجاعيد وجهه كأرض عرفت الجفاف دهورًا ..

يدنو منهم ، ويضع قبضتيه المرتجفتين فى خصره ، ويقول بصوت واهن :

- « (سونج بياو) ! دع الفتاة وكف عن هذا السخف .. »

يا لك من شجاع يا جدى ! لكن لا تتعب نفسك .. فهؤلاء الأوغاد لن يتركونى من أجل شيخوختك .. إنهم يضربون الشيوخ بحماس ، وقد رأينا الكثير من هذا منذ ثوان ..

لكن - الغريب - بدا شىء من اهتزاز الثقة على وجه الفتى ومن حوله .. لقد تراجعوا للوراء بضع خطوات ، ولمحت - لذهولها - رجفة واضحة فى ساقى أحدهم .. وقال (سونج بياو) وهو يهز كفه :

- « (هياو - شى - فانج) .. لا شأن لنا بك ولا شأن لك بنا .. نحن قد شربنا الكثير من الجعة ، وقد دفعنا هذا لطلب بعض المرح .. لا شىء .. »

قال الشيخ فى ثبات وهو يتقدم نحو الفتية :



يدنو منهم ، ويضع قبضتيه المرتجفتين فى خصره ، ويقول بصوت واهن :
- « (سونج - بياو) ! دع الفتاة وكف عن هذا السخف .. »

- « إن مرحكم يذكرنى إلى حد ما بقطع الطريق .. ولئن لم تنتهوا الآن .. »

- « نعرف .. نعرف .. معذرة يا (هياو - شى - فانج) .. »

وفى الثانية التالية كانوا قد اختفوا من السوق تمامًا ..

من هو هذا الـ (هياو - شى - فانج) ؟ هل هو الحاكم ؟ لا أحد سوى الحاكم يملك هذه السلطة القوية .. لا يمكن أن يكون أبَ واحد منهم ؛ لأن صيغة الحوار لا توحى بهذا .. ونظرت - متساءلة - إلى البائع الذى كان الآن راكعًا خلف المنضدة تحسبًا للقتال القادم ، وسألته :

- « من (هياو - شى - فانج) هذا ؟ وما سلطته على هؤلاء الفتية ؟ »

نهض مطمئنًا ، وقال وهو يعيد تنسيق البرتقال الذى سقط أرضًا :

- « سلطة القوة طبعًا !! »

- « هذا الشيخ ؟ إنه مومياء تم تركيب محرك لها .. أكاد أحسب أن عامين مرا على وفاته .. »

قذف برتقالة فى الهواء وتلقفها ، ثم ناولها إياها ، وضحك متهكمًا :

- « حين رأيته قادمًا اعتبرت هؤلاء الأوغاد موتى .. إنه ليوم حظهم فى الأبراج .. »

- « لم تجبنى عن سؤالى عن كنه هذا الـ (هياو - شى - فاتج) .. »

نظر إلى بعيد حيث كان العجوز يبتعد فى وهن ، وقال :

- « إنه أستاذ القتال بطريقة (تشوب سيوى) .. »

* * *

وتواصل (عبير) جولتها فى السوق الذى صار آمنًا الآن ، ولم تستطع أن تبعد عن ذهنها صورة

العجوز (هياو - شى - فاتج) الذى تحدًى عشرة من البلطجية ، بمجرد القوة النفسية لا أكثر .. أما عن طريقة (تشوب سيوى) هذه فلا تعرفها ولا يهمها أن تعرفها .. إن كل شخص فى هذه البلدان فى هذا الزمن ، قد اتخذ لنفسه على ما يبدو أسلوبًا متفردًا فى القتال ، وهى لا تفهم هذه الأمور .. ثمة رياضات يركلون فيها أكثر من اللازم ، وأخرى يصرخون فيها أكثر من اللازم ، ورياضات يصيحون فيها : كاييييى ! ، وأخرى يصيحون فيها بصوت رفيع كالسحلية : هيييى ! ليس لديها المزاج الرائق كى تتذكر كل هذا ..

لكنها كانت متأكدة من شىء واحد : لو كان هذا الزمن خطرًا إلى هذا الحد ، فمن الطبيعى جدًا أن يتعلم كل إنسان كيف يبقى حيًا يومًا آخر .. ترى كيف يبدو حاكم هذه البلاد ؟ وكيف يسيطر على كل هؤلاء البلطجية الذين هم شعبه ؟ بالتأكيد هو أبرع من يلعب الكونج فو هنا ، وهو قادر على هزيمة كل معارضيه .. لا توجد شرعية أخرى لحكمه على ما يبدو ..

كانت هنـاك مجمـوعـة مـن الأطفـال ـ الأوغاد بالمناسبة ـ يتسلّون بقذف الحجارة على كلب صغير أجرب بائس ، وكان المسكين يحاول الفرار أو التكشير عن أنيابـه ، لكن الحصـار أرغمـه علـى أن يقـف وظهره لجدار ، فراح يطلـق ذلـك العـواء الشـبيه بالصرير والذى يمزق نياط أقسى القلوب .. لكن من قال إن الصبية لهم قلوب أصلاً فضلاً عن أن تكون لهم نياط ؟

هرعت إليهم وصاحت منـذرة بـالويل ، وقـالت أشياء على غرار : بس يا ولد منك لـه ! وصفعت اثنين منهم بخفة على الكتف .. لو كانت فى حارتها لقذفت ماء الغسيل المتسخ عليهم ، وأمرتهم بـاللعب فى مكان آخر ..

تفرقـوا وهـم يطلقـون عبـارات السـباب الكونفوشيوسى البليغ ، فتجاهلتهم وانحنـت تربِّـت على المخلوق التعس القذر .. متسخ هذا صحيح ، ولكن من قال : إن النظافة حق للمنبوذين ؟

حملته دون حذر .. لو كان أجرب حقًا فهى فى مشكلة ، لكنها لاتبالى أمام عذابه .. واتجهت إلى امرأة تضع قطعًا من لحم الدجاج النِّىء على منضدة أمامها .. وطلبت منها قطعة ..

بدا التردد على المرأة ، فوضعت (عبير) البرتقالة أمامها على سبيل المقايضة .. ناولتها المرأة قطعة دامية من الجلد التصق بها بعض الريش واللحم ، فأخذتها إلى جوار جدار ووضعتها أمام الكائن التعس .. كان جائعًا كالبعوضـة الصغيرة ، وراح يزدرد فى لهفة كمن يتوقع أن يحرم من هذا الترف فى أية لحظة ..

استدارت إلى المرأة تفكر فى أن تشحذ منها قطعة أخرى ، هنا وجدت المرأة تنظر إلى ما وراء الجدار ، فى شىء من التوتر والتهيب ..

كـان (هيـاو ـ شى ـ فاتـج) واقفًا هنـاك يرمـق المشهد بعينيه الغائمتين العجوزتين ..

فتحت فاها لتتكلم ، لكنه تكلم أولاً .. قال لهـا فـى رضا :

- « القوة الحقيقية هى فى حب ما لا يجرؤ الفانون على حبه .. إن القوة التى تكمن فى الرفق بكلب أجرب منبوذ لقادرة على تحريك الجبال ، وتبديل مسار الشهب .. »

لم تفهم تمامًا .. لكنها أدركت أنه يمتدحها ؛ لأنها اعتنت بالكلب .. وقال لها قبل أن تتكلم من جديد :

- « هذا هو كلبى ! »

- « لا يدهشنى هذا كثيرًا .. »

وأرادت أن تصارحه برأيها فى عنايته المفرطة بالحيوانات ، لكنه قال لها :

- « إنه امتحان لمن يصلحون ، وهو دائمًا فى السوق هنا يتصيد المارة ، ودعينى أخبرك أن أحدًا لم يجتز الاختبار منذ عشر سنوات .. إنهم يشمئزون منه أو يقذفونه بحجر ، ولم يخطر ببال أحد أن البائس جائع .. »

كان الكلب قد فرغ من الطعام ، فلحق بسيده وذيله يهتز ، كأنما يبرهن على صدق كلامه ، وراح يلعق

أسماله . الاثنان فى حاجة إلى عناية فائقة : الكلب وسيده ..

- « ما اسمك يا ذات الغمازتين ؟ »

- « (فو - لى) .. »

- « وأنا (هياو - شى - فانج) .. لكنك اليوم ستنادينني باسم (المعلم) .. »

- « ولـ .. لماذا ؟ »

- « لأن يمامة مثلك لا تستطيع الحياة وسط هذا العالم ، من دون أن تتعلم شراسة النمور ، وأنا أعلّم شراسة النمور فقط لمن أجد أنه يستحقها .. وأنت تستحقين .. أنا وكلبى نعرف أنك تستحقين !! »

* * *

٣ ـ التلميذة والمدرسة ..

هكذا يمكن أن نقول : إن (عبير) لحقت بالمعلم فى بيتـه .. وكـان بلا أسرة ولا خـدم .. بيت صينـى عتيق فقير جدًا ، لكن له ما يشبه الفناء الخلفى حيث يجلس الرجل ، ليقرأ تلك الكتب الغليظـة مصفـرة الأوراق التى تركهـا الأجـداد .. وكـان يـأتى ببعض التمارين هناك ، لكن القسط الأكبر من التمارين كـان يمارسه عند البحر ، الذى ـ كالعادة ـ يصل إليه عن طريق ممر سرى تحت الأرض ..

كان عجوزًا جدًا ، ولم تدرك مدى تقدمه فى السن إلا حين استطاعت أن تـدرس وجهـه عـن كثـب .. أشار لها إلى بساط على الأرض ، وقال :

ـ « هنا تنامين يا (فو ـ لى) .. »

وأشار إلى خرقة ممزقة ، وقال بنفس الوقار :

ـ « وبهذا تتدثرين .. »

ثم أشار إلى سلطانية خزفية صغيرة بها ما بدا لها كأنه أرز مسلوق تم عجنه بقبضة اليد :

ـ « ومن هذا تأكلين .. »

وصب بعض الشـاى الأخضر البـارد فى سلطانية مماثلة وقال :

ـ « ومن هذا تشربين .. »

يا للروعة ! يا للترف ! إنها عرفت الفقر وتعذبت بـه ، لكن أكثر خيالاتها جموحًا لـم يصل إلـى هذه الدرجة .. فلو كان هـذا المعلم يحـاول تدريبها علـى حياة الشحاذين ، فمن حقها أن تخبره برأيها فى هـذا العز كله ..

قال لها وقد سمع ما تقول فى ذهنها :

ـ « الكبر .. يجب كسر الكبر .. أما الترف فسمٌ ينبغى الخلاص منه ؛ حتى تجد الحكمة أرضًا تنبت فيها .. إن التقشف ترياقك ، وعليك أن ترشفيه ببطء وتلذذ .. »

هزت رأسها ، فلم يرق لها الكلام ، لكنها كانت بحق راغبة فى الاستمرار، ومعرفة لماذا يملك هذا العجوز كل هذا النفوذ ..

فما إن جلست ، ومضغت أول قضمة من العجين الكريه ، ورشفت أول جرعة من السائل المر ، حتى صارت تنتمى لعالم هذا الرجل ..

* * *

وقف على الشاطئ والريح تطيّر ثوبه الطويل ، وتجعل شعر حاجبيه الكث ينسدل على عينيه ، وصفيرها يجعلها لا تسمع حرفًا مما يقول ، لكنها تخمنه .. إنه يحمل قدحًا من الشاى الساخن بين أنامله ، ويقول لها :

- « هـ .. ا .. فو .. ها .. نى .. »

بالطبع هو يقول لها : « هيا يا (فو - لى) .. هاجمينى » .. هذا طبيعى لأنه ما من طريقة أخرى لملء الفجوات بين الحروف .. لذا تلوّح (فو - لى)

بالمذراة التى تحملها ، وهى شبيهة بالتى يحملها الشيطان فى الصور ، وتنقض عليه قاصدة صدره ، لكن العجوز يتملص منها إلى اليمين دون أن يبدل من وضع ساقيه أو يهز جذعه .. فتهجم من جديد لكنه يثنى جذعه للجهة الأخرى ، وينتهز الفرصة ليرشف فى تلذذ رشفة من الشاى .. تنقض بعنف حتى ليحدث سلاحها صفيرًا وهو يشق الهواء ، لكنه من جديد يتحرك برشاقة إلى الخلف .. أمام .. يمين .. خلف .. يثب .. ينحنى .. خلف .. أمام .. أسفل .. يمين .. يسار ..

ثم يرشف رشفة أخرى من الشاى ..

تقف أمامه تلهث ككلب فى أغسطس ، وترمقه فى غل .. الآن لن تجد عسرًا فى تحطيم رأسه فقط لو أعطاها الفرصة .. يقول لها وهو يواصل رشف الشاى الذى لم تنسكب منه قطرة واحدة :

- « الأعصاب .. الأعصاب .. السيطرة على كل خيط منها ، والقتال بالعقل لا بالجسد .. هذا هو ما تعلمناه من (زن) ، وعليك أن تتعلميه منى .. »

ثم رشف آخر جرعة من الشاى الساخن ، وقال :

- « عليك أن تتعلمى أن القتال لا ينتهى .. »

وفى الثانية التالية قذف القدح فى الهواء ، وطار - لا تدرى كيف - لينزع المذراة من يدها بركلة صغيرة ، ثم عاد إلى مكانه ليتلقى القدح قبل أن يسقط فيتهشم .. ويواصل جملته :

- « .. إلا حين تقول غرائزك إنه انتهى .. »

قالت فى غيظ وهى تجاهد من أجل التنفس :

- « هه هه .. هل هذا هو دورى فقط ؟ أن أبرهن لك كم أنك بارع ؟ هل أنا مجرد أداة للتدريب ؟ »

- « صبرًا يا (فو - لى) صبرًا .. أنت الآن ارتكبت ثلاثة أخطاء .. »

فى غل قالت :

- « حقًا ؟ لم أدر أننى بهذه الوقاحة من قبل .. »

- « أولاً تساءلت عن دورك ، والتلميذ لا يسأل المعلم

عن دوره ، بل يؤديه خير أداء .. وثانيًا تكلمت بوقاحة مع معلمك .. فهل كلمت أمك بهذه اللهجة من قبل ؟ إن الأم تساوى عشرة آباء ، بينما المعلم يساوى أربعين أمًّا .. »

- « هذان خطآن لا أكثر .. »

- « الخطأ الثالث هو أنك غضبى .. وحينما تكونين غضبى يستطيع طفل أن يخدعك .. »

ولوّح بقدح الشاى الذى كان يحمله ، وأردف :

- « لو لم يعمك الغضب ، للاحظت أن القدح كان فارغًا لا يحوى شيئًا من الشاى ، وأننى كنت أتظاهر بالشرب .. خيالك جعلك ترين الشاى الساخن والبخار يتصاعد منه ، وجعلك تشعرين بمذاقه وحرارته .. »

أسقط فى يدها ، وشعرت برغبة عارمة فى البكاء ، وسألته بصوت مختنق :

- « حسن .. أنا غبية جاهلة .. أليس كذلك ؟ سأرحل الآن .. »

تقلصت ملامح وجهه فى ابتسامة ، ذكرتها بالباذنجانة الفاسدة عند الخضرى ، تلك التى تحولت إلى كرة من التجاعيد وقال لها :

- « لا أراك غبية ولا جاهلة .. فقط صدأ كثير يكسو روحك من جراء غمسها فى مستنقع المادية ، ولسوف أزيل هذا الصدأ كى تعود روحك براقة كما خلقت .. عندها تدركين أن للروح البراقة جسدًا خاصًا بها ، له خفة النمور وشجاعة النسور وقوة الدب .. »

وهكذا تحملت (عبير) الكثير جدًا .. ما كانت تحب هذه التشبيهات المعقدة التى يستخدمها الصينيون واليابانيون ، وما كانت لتهوى هذا السيل المنهمر من قطوف الحكمة ، لكنها قررت أن تضغط على أعصابها ..

وتتعلم ..

* * *

لم تكن أيامها مع (هياو - شى - فانج) سيئة إلى هذا الحد .. كان الرجل طيب القلب حقًا ، وقد زهد كل أشكال متع الحياة ، وبالتالى زهد كل الأشياء التى تجعلنا أشرارًا حين تصطدم مصالحنا بمصالح الآخرين .. لقد وصل إلى من يسميه بوذا بالـ (كارما) .. لكنه كان يكره القسوة والشر ، وأسلوب من يؤذون الآخرين لا لشىء إلا لأنهم يقدرون على ذلك ، ولقد حسبت (عبير) نفسها خارج الموضوع تمامًا .. فهذه الكلمات تعنى البلطجية والسفاحين ورجال العصابات . لكنه أخبرها بأنها مثلهم إن لم تكن أسوأ .. ألم تحاول أمس أن تقتل تلك الحشرة التى وجدتها على حشيتها ؟ هنا رأت المعلم يرفع يده محتجًا :

- « هل هى مؤذية ؟ هل هى سامة أو يمكن أن تكون ؟ »

قالت فى ضيق وهى تلوح بالشبشب الذى امتشقته :

- « لا أدرى .. لكنها مقززة على كل حال ، وهذا سبب كاف فى رأيى كى .. »

- « هى كذلك تراك مقززة .. ربمـا أكثر منهـا .. لكنك أكبر وأقوى ، وهذا ما يهبك - كما تتخيلين - حقًّا فى أن تسلبيها حياتها التى لا تملك سواها .. ربما لم يكن (سونج - بياو) شريرًا إلى هـذا الحـد حين ضايقك فى السوق ، لأنك فتـاة وضعيفة ! كان هـذا سببًا كافيًا فى رأيه .. »

شعرت بخجل وتخلت عن سلاحها الشبشبى .. ستترك الحشرة المرعبة وشأنها .. إن حياتها مع المعلم هى مجموعة من الأخطاء التى يتم تصحيحها .. لكنها - نعترف - كانت تتحسـن يومًا بعد يوم فـى أدائها الجسدى ، كأنما تلك الدروس الأخلاقيـة تصب فى عضلاتها ، ولا أدرى كيف ..

★ ★ ★

وهاهى ذى تقف على الشاطئ فى الموضع المختـار للتدريب .. يقول لها ملوِّحًا بعصاه :

- « ابدئى يا (فو - لى) ! »

فتبدأ ..

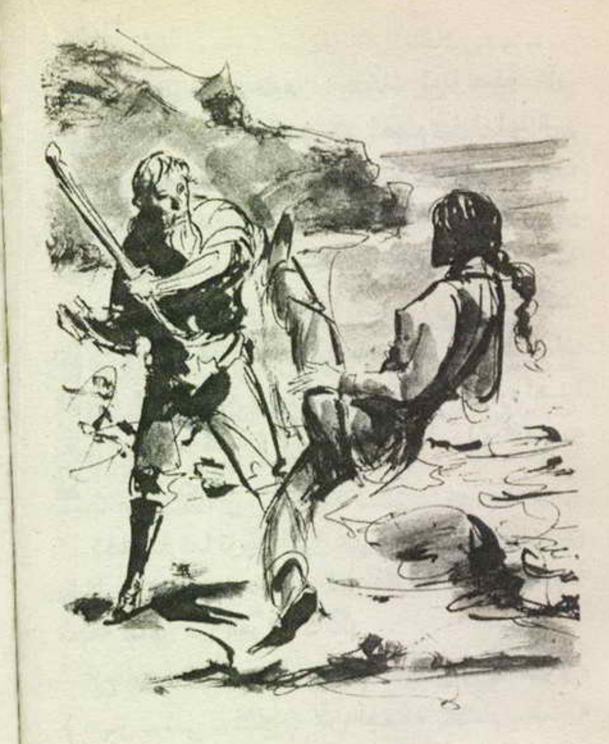
والبدء هو مجموعة من الحركات المتواصلة على سبيل (التسخين) .. ثم يندمج المعلم فينزل لها إلـى الحلبة ، ويهاجمها بعصاه التى يطوِّحها فـى الهواء وينقلها من يد ليد كالأبالسـة ، فتتفاداها .. تثب فـى الهـواء وتوجـه لـه ركلـة لا بـأس بهـا أبـدًا ، لكنـه يحجبها بقبضتـه عن وجهه .. و .. و .. كما قلت لكم إن وصف القتال ممل حقًّا ، وهو من اللحظات القليلـة التـى أقتنـع فيها بـالمثل (إن صـورة واحـدة تغنى عن ألف كلمة) ، ذلك المثل الـذى لـم أقتنع به قط ، وما زلت أجده سخيفًا ..

الخلاصة كما ترون أن (عبير) تتحسن .. تتحسن بشكل لا يصدق .. خاصة لـو تذكرنـا أن هذه نتيجة سبعة أشهر من المران لا أكثر ..

إن أسلوب (تشوب سيوى) - الـذى ورث أسـراره (هيـاو - شى - فانج) عـن أجـداده العظـام - شـبيه إلى حد كبير بما نسميه اليوم برياضة (التايكوندو) ..

أو هو يبدو كذلك لغير المتخصص ، لكن الاعتماد على القبضات أكثر نوعًا ، ولها أسماء مختلفة تحاول تقريب كل قبضة إلى ذهن من يسمع الاسم .. رأس الكبش .. العنكبوت .. التنين .. الثعبان .. الجندب .. إلخ .. طبعًا أنا عاجز عن تمييز هذه القبضات ، لكن (عبير) تستطيع .. بالإضافة لهذا هى الآن تعرف أهم عشر نقاط حساسة فى الجسم البشرى ، وبشكل يفوق خبرة أى معالج بالإبر الصينية .. إنها تعرف البوابات العشر التى تجتازها الأحاسيس كى تبلغ الروح ، وتعرف كيف تغلقها بضربات مختارة ..

إنها تعرف الصرخة المختارة التى تجمد الدم فى عروق الخصم ، وتعرف أنها لن تطلقها إلا حين تنفد كل أسلحتها .. إنها تعرف كيف تتحكم فى مشاعر الخوف والغضب ، وكيف تأخذ شهيقًا عميقًا تتخيل معه ـ بل تدرك ـ أنها احتوت النرفانا الحيوية فى الكون داخل رئتيها ، وتشعر بها تسرى مع الدم إلى كل خلية منها .. ومع النرفانا تدنو ببطء من حقائق



ثم يندمج المعلم فينزل لها إلى الحلبة ، ويهاجمها بعصاه التى يطوحها فى الهواء وينقلها من يد ليد كالأبالسه ..

الأشياء ، وتستطيع أن تفهم كيف تثب الذبابة من فوق المنضدة حين تهوى بقبضتك عليها ..

إنها تعرف أن خصومها ـ مهما بلغ عددهم ـ ضعفاء جدًا واهنون جدًا ، وتوشك على الشعور بالشفقة من أجلهم ؛ لأنهم حمقى لا يدركون مغبة تحدى من يجيد أسلوب (تشوب سيوى) ..

إنها تعرف أن مهمتها لا تقتصر على أن تكون أقوى .. عليها أن تكون أفضل .. وعليها أن تدخر قواها لغرض لا تعرفه بالضبط ، لكنها تعرف أنه موجود ..

* * *

٤ـ سرنا الرهيب ..

أخيرًا يجلس المعلم العظيم (هياو ـ شى ـ فانج) يشرب الشاى الأخضر ، وهو دائمًا يشرب الشاى حين يكون راضيًا .. ثمة صبية يلعبون أمام الدار ويتصايحون ويقذفون القاذورات على بعضهم .. تقدم للمعلم بعض الأسماك المجففة المملحة على سبيل (البسكويت) فيمد يده إلى الطبق ، ويلقى بواحدة إلى الكلب الأجرب الذى يبصبص بذيله ، ويقول :

ـ « هوه هوه .. لم يكن (شنج ـ لى ـ موه ـ فونج) مخطئًا .. »

و (شنج ـ لى ـ موه ـ فونج) هو ـ عدم المؤاخذة ـ الكلب ذاته ، وهو اسم جدير به على كل حال ، ويردف العجوز :

ـ « أنت حقًا مناسبة جدًا لتعلم الـ (تشوب

سيوى) ، وقد أبليت بلاءً حسنًا ، وكنت بمثابة ابنة لى .. لقد تلقيت العلم كما تتلقى الأرض الصادية مياه (اليانج تسى) ، وإننى لأباركك يا (فو ـ لى) ذات الغمازتين .. »

فتجثو على ركبتيها وتلثم أطراف ثوبه الممزق ..

هنا ينعقد حاجباه حتى يصيرا حاجبًا واحدًا كثًا ، ويقول :

ـ « لكنى الآن فى مرحلة الشتاء ، وقد وهن قلبى .. وأعرف أن (هياو ـ شى ـ فانج) لن يعيش ليرى طير السنونو مرة أخرى .. فلم يبق وقت إلا ليعلمك أهم الدروس كافة »

قالت له كلامًا مما معناه : الشر بره وبعيد .. وسوف تعيش لتدفننا جميعًا .. ولا تقل هذا يا رجل .. لكنه قاطعها فى حزم وهو يشرب المزيد من الشاى :

ـ « (جيانغ ـ سه) .. التنين الحاكم .. حذار من (جيانغ ـ سه) »

وكانت (عبير) قد سمعته كثيرًا يتكلم عن المدعو (جيانغ ـ سه) حاكم المدينة الشهير باسم (التنين) .. لكنه كان يتكلم عنه بنفس الصيغة التى نستعيذ فيها باللّه من الشيطان الرجيم .. واضح أن (جيانغ ـ سه) لا يمثل إلا الشر المطلق فى هذا العالم ..

ـ « والأدهى أنه أبو (سونج ـ بياو) الذى تحرش بك فى السوق ذلك اليوم .. »

هزت رأسها فى فهم .. إذن توجد عداوة قديمة بين العجوز و(جيانغ ـ سه) هذا ..

ـ « قد طلب منى أن ألقن أسلوبى لولده لكنى أبيت ، وقلت له : إن تعليم الأفعى كيف تلدغ ليس عملى .. وإن طريقتى لا يعرفها إلا من أختاره أنا .. عرض علىّ الذهب .. الكثير منه .. وعرض علىّ الجوارى .. الكثير منهن . وعرض علىّ النفوذ كل النفوذ .. لكنى قلت له : إن كل ما أريد هو أن أجلس فى فناء دارى ، أداعب كلبى الأجرب وألتهم العصيدة .. »

- « وتركك وشأنك ؟ »

- « بالطبع لا .. لقد أرسل لى عشرة من رجاله المسلحين فى مساء يوم صيفى جميل .. »

- « وهزمتهم ؟ »

- « بل هزمونى ! »

وارتجف حاجباه وتجمدت دمعة فى عينيه ، فسألته (عبير) :

- « كانوا أقوياء إلى هذا الحد ؟ »

- « بل كانوا ضعفاء إلى أقصى حد .. نعم هزمتهم فى القتال ، لكنى هُزمت أنا نفسى حين عجزت عن كبح جماح غضبى ، وأرديت خمسة منهم قتلى ! »

تنهدت (عبير) الصعداء .. حقًا هى بحاجة إلى قرن كامل كى تتعلم التفكير بطريقة هذا الرجل .. مازالت الهزيمة بالنسبة لها لا تعنى سوى تلقى علقة محترمة .. أما هذا النوع من الهزائم المعنوية فـ ...

قال مواصلاً اعترافه المشين :

- « إن الهزيمة أمام الغضب أشد خزيًا من ألف هزيمة بيد الأعداء ، وقد كففت عن تناول الشاى لمدة عامين تكفيرًا عن أرواح هؤلاء الأبرياء .. »

ومد يده فى صدره بين أسماله يبحث عن شىء ما ، وأخرجه فى النهاية ، فوضعه فى كفها ..

كانت قلادة من معدن نفيس فى حجم الكف .. بالأحرى كانت نصف قلادة قد شطرت إلى نصفين عرضيين ، وعلى المعدن حفرت بعض النقوش الصينية التى لم تستطع فهمها ..

سألها :

- « ما هذا الذى ترين ؟ »

تأملتها فى غباء ، وقالت :

- « قلادة .. نصف قلادة لو أردنا الدقة .. »

قال فى تؤدة وهو يشرب المزيد من الشاى :

- « أنت لا تجيدين القراءة .. وهذا هو الشىء الذى

لم يتسع العمر لأعلمه لك ، لكن لو أجدت القراءة لوجدت أن هذه لغة صينية قديمة جدًا تنتمى إلى عهد أسلافنا العظام .. »

★ ★ ★

« قليلون من الناس من يعرفون أن نصف هذه القلادة معلق الآن حول عنق (جيانغ ـ سه) ، أما من يعرفون أن النصف الآخر حول عنقى أنا فاثنان لا أكثر : أنا وأنت .. وكانا منذ دقيقة واحدًا لا أكثر ..

« والقصة تعود إلى نحو قرن ، حين جاء ساحر هندى شرير إلى المدينة ، وكان يحمل تلك القلادة فى عنقه . ورأى الناس كيف استعملها ، وفى أية أشياء جربها ، حتى إن اسم المدينة تغير ليكون (المدينة المسحورة) إلى الأبد . وكان ما كان .. لقد تسللوا ليلاً إلى خبائه فضربوا عنقه ، وحاولوا الخلاص من هذه القلادة بكل السبل الممكنة ، لكنها كانت تحمل سحرًا قويًا ، وكانت مصممة على

الظهور دائمًا .. يبدو أنها لا تترك أحدًا يحملها إلى خارج المدينة أبدًا .. لكن الناس إذ حاولوا تحطيمها وجدوا أنها قابلة للكسر إلى نصفين لا أكثر ، وكلا النصفين يأبى مغادرة المدينة ..

« كان القرار الذى اتخذه الحاكم ـ وهو أبو (جيانغ ـ سه) ـ أن يضع هو نصف القلادة حول عنقه ، ثم ألقى بالنصف الآخر خارج قصره ، وأعلن أن على واحد من الأخيار أن يأخذ نصف القلادة الآخر خفية .. يأخذه دون أن يعرف أحد أنه فعل ..

« الفكرة هنا أن ما كتب على القلادة رهيب ، ويفتح أبوابًا من الشر لم يحلم بها الحكماء قط .. لكن امتلاك أحد النصفين يترك المالك فى حالة من عدم الفهم ؛ لأن معنى النص غير كامل .. فقط حين يلتحم النصفان يكتمل الهول ويعرف الإنسان ما لم يكن له أن يعرف ..

« لك أن تتوقعى أن أهل المدينة أحجموا جميعًا عن التقاط النصف الملقى أمام القصر .. إلا أن طفلاً وجد قطعة المعدن هذه وهو يلهو ساعة الغروب ، وقرر الاحتفاظ بها لأن مظهرها راق له ..

« بالطبع أنت تعرفين الآن من كان هذا الطفل ، وتعرفين سر هذه القلادة .. القلادة التى احتفظ بها الغلام تسعين عامًا دون أن يعرف أحد أنها معه .. وفيما بعد أدرك أنه قام بالعمل الصحيح .. »

وارتجفت شفتا العجوز قليلاً ، وقال فى وهن :

- « لكن الإنسان يموت ، ولسوف يحملوننى وقتها إلى المحرقة لأتحول إلى رماد .. عندها ستمتد يد عابثة إلى الرماد لتخرج منه نصف قلادة ذات أهمية خاصة .. لا أريد لهذه اليد أن تكون يد (جيانغ - سه) أبدًا .. »

- « ولكن أبا (جيانغ - سه) هو صاحب الفكرة ، وكان بوسعه أن .. »

- « كان رجلاً خيرًا يوقد البخور للماتشو .. أعرف جيدًا أنه لم يحاول فهم المكتوب على القلادة الكاملة .. أما ولده فهو شيطان رجيم ، وقد قرر أنه بحاجة إلى القوة ، والقوة لا تكتمل من دون النصف الآخر للقلادة .. لهذا هو يقلب الأرض بحثًا عن هذا

النصف ، وهو لايعرف إن كان قد فقد أم أنه حول عنق رجل ما .. لو وجد (جيانغ - سه) هذا النصف ، فلسوف ترتجف الأجنة فى بطون أمهاتهم لهول ما سيسمعون .. »

قالت دون تفكير :

- « ولماذا لا تعدم هذا النصف ؟ »

لائمًا قال لها :

- « أنت لا تصغين لما أقول .. قلت : إنه من المستحيل تدمير هذه القلادة أو إخراجها من المدينة .. »

ثم رفع عينيه الغائمتين إلى (عبير) وقال :

- « تعرفين الآن يا (فو - لى) لماذا اخترت أن أمنحك هذه القوة قبل أن أموت .. إن القلادة من الآن مسئوليتك وميراث الشرف فى عنقك .. »

* * *

٥ ـ فليدخل التنين !

نترك (عبير) وأستاذها العجوز ، ونتوغل بالكاميرا فى مكان رهيب ليس من السهل أن تزوره لولا ما تمنحه لك السينما ـ والأدب أحيانًا ـ من قدرة على اختراق الجدران ..

نحن الآن فى قصر الشرير (جيانغ ـ سه) حاكم المدينة المسحورة .. كيف يبدو قصر حاكم صينى شرير ؟ كما تتخيلونه بالضبط وأسوأ .. إنها مجموعة من الممرات المزدانة بالمشاعل ، وحراس ضخام الأجساد يرتدون الدروع المزخرفة غريبة الشكل ، وأقبية يحرقون فيها السجناء ـ الأبرياء دائمًا ـ بالنار ، وقاعة كبيرة تتأجج فيها النيران يجلس فيها (جيانغ ـ سه) محاطًا بالمحظيات والحكماء المنافقين ، والحراس الضخام عراة الصدور الذين يحملون سيوفًا فى طول

قامتك ، والذين لهم شوارب تتدلى على جانبى الفم من طراز (جنكيز خان) ..

طبعًا شعار التنين الصينى الملتوى مرسوم على كل الجدران ، وعلى دروع الحراس ، وعلى صدر (جيانغ ـ سه) نفسه ..

لا تحاول استفزازه لأنه متعكر المزاج جدًا اليوم ، ليس من مصلحة من يرغب فى الاحتفاظ بعنقه فترة أطول أن يدنو منه الآن ..

أمامه يقف ذلك الحكيم الأصلع يرتجف فرقًا ، وعن يمينه يرقد نمره الأليف يلعق مخالبه كقط ، ويتلمظ اشتهاءً لتعس الحظ التالى الذى سيأمر التنين بالقضاء عليه .. للأسف لم يكن مذاق هذا الفلاح الذى التهمه صباح اليوم محببًا .. لربما يعد اليوم بوجبة أفضل وأكثر دسامة ..

ـ « وبعد ؟ »

يقولها التنين وهو يعبث بخنجره الشرقى المتعرج

ذى المنحنيات الست فى أسنانه .. يمكننا الآن أن نتأمله فى رعب .. إنه يرتدى ما يشبه (الكيمونو) الأسود ، وله وجه جدير بالشياطين ، وشاربين طويلين منسدلين يذكرانك بالأفاعى ، وحاجبين كثين كحاجبى وشق الإستبس .. الحقيقة هى أن قليلاً جدًا من الأشرار يمكن أن يحملوا على وجوههم ما يحملون فى قلوبهم ، بهذا الوضوح الفج .. ملامح من الصعب أن تصدق وجودها ، تنتمى لذلك المكياج الفظ المضحك الذى يضعه الأشرار فى أفلام (الكونج - فو) إياها ..

يقول الحكيم المرتجف وهو - طبعًا - يرتجف :

- « للأسف أيها التنين العظيم .. لم نجد لدى النجوم السر الذى سألتنا إياه .. »

فينظر التنين إلى أحد رجاله ممن يشبهون ثيران الجر :

- « وأنتم ؟ هل من أخبار ؟ »

فيقول ثور الجر فى هلع :

- « لا أيها التنين .. لقد فتشنا المدينة بيتًا بيتًا ويمكن القول باطمئنان إنه لا قلادة هناك .. »

- « لا تكن متفاخرًا أيها الخنزير .. لا أحد يمكنه القول إنه لا قلادة ، لأن القلادة أسهل شىء فى إخفائها .. إنها كالسر الذى تداريه فى ضميرك ، فلا يقدر أى تفتيش على العثور عليه من دون تعذيب! »

وضغط على العبارة الأخيرة وقد راقت له :

- « من دون تعذيب .. »

يقول ثور الجر وقد تحركت رومانسيته المرهفة إذ سمع لفظة (تعذيب) ، بنفس الطريقة التى تجيش بها مشاعرك حين تسمع ألفاظ (نسيم - ربيع - غروب) :

- « المشكلة أيها التنين أن تعذيب المدينة بأسرها سيكون عسيرًا بعض الشىء .. »

- « هذا هو عملنا .. ننجزه مهما كان شاقًا ، لأن الثمار لا تُمنح للناعسين تحت أشجار السرو .. »

ومد يده يتحسس نصف القلادة المتدلى من عنقه ..

كانت مشكلة أبيه الدائمة هى افتقاره لبعد النظر .. تخيَّل رجلاً يجد تلك القلادة بين يديه ، وبرغم هذا لا يحاول استجلاء أسرارها ، ويكسرها إلى نصفين ، ثم يتخلص من أحد النصفين دون أن يكلف نفسه بمعرفة صاحب الحظ السعيد ..

وحين جاء (جيانغ ـ سه) إلى عالمنا هذا ، أدرك أن له هدفًا واحدًا مقدسًا لن يحيد عنه أبدًا : أن يكون شريرًا .. أن يخيف الأبرياء والضعفاء ، وأن يجعل حياة الأخيار جحيمًا .. وهو شىء كان سيحير علماء الاجتماع جميعًا الذين تساءلوا إن كانت الشخصية الشريرة نتاج الوراثة أو البيئة ، ولم يكن الأمران صحيحين بالنسبة لـ (جيانغ ـ سه) .. لكن هذا يناسب المقولة الشهيرة : قد يجىء من ظهر العالم فاسد .. والحق أنه كان فاسدًا .. فاسدًا من نفس العجينة العبقرية التى منها جاء (هتلر) و(هولاكو) وخُطِ الصعيد .. لكن الشر بدون قوة لا معنى له .. وكان (جيانغ ـ سه) بحاجة إلى القوة ، وقد عرف من

الأسلاف والشيوخ مقدار تلك القوة السديمية التى تمنحها القلادة الكاملة لمن يملكها .. لكن من له بالقلادة الكاملة الآن ؟

وحين حضر الموت أباه ، كان (جيانغ ـ سه) فى سن المراهقة .. وقال له أبوه وهو يعالج سكرات الموت :

ـ « أنت شرير قذر يا (جيانغ ـ سه) .. ولقد ورثت كل أرواح الشياطين من أسلافنا .. وإننى لأرتجف هلعًا من مصير سكان المدينة فى عهدك .. »

ابتسم (جيانغ ـ سه) فى تواضع ، فهو لم يعتبر نفسه شريرًا قط إلى هذا الحد الذى يدغدغ غروره .. وحتى هذه اللحظة لم يكن قد فعل أشياء أكثر من فقء عيون القطط ، وغرس دبوس فى أذن معلمه ..

مد الأب يده الراجفة فى صدره ولوَّح بالقلادة قائلاً :

ـ « أرجوك أن تدفن هذه مع جثتى .. لا تحاول

أخذها .. دعها تمت معى .. هذه وصية أبيك الوحيدة الذى يقضى الآن نحبه فاحترمها .. »

ثم مات ..

هكذا - بالطبع - كان أول ما فعله (جياتغ - سه) هو أن مد يده فى صدر أبيه الذى لم يبرد بعد ، وأخذ القلادة ووضعها حول عنقه ، وقرر أن يستفيد منها فى أقرب فرصة .. ولكن كيف ؟

اليوم هو فى منتصف العمر ، ومازالت القلادة الكريهة لغزًا لا يمكن حله ، وهو قد رزق بابن فاسد مثله .. وإن كان فساده من النوع الذى هو إلى عبث المراهقين أقرب .. ابن من النوع المستهتر الذى لن يعرف أبدًا كيف يحتفظ بحكمه وكيف يخيف الناس ..

لهذا أدرك (جياتغ - سه) أن الوقت قد حان للظفر بالقلادة .. النصف الآخر منها ..

لكن كيف يجد الآن ما فشل فى العثور عليه طيلة حياته ؟

هناك العرافون والمنجمون ، لكنهم يبرهنون كما هى العادة دائمًا على أنهم نصابون ، لايجيدون سوى الكلام العائم على غرار : إننا نرى تنينًا ضخمًا فى السماء يلتهم النجوم ، ومنه يولد تنين أصغر قوى !.
والواحد منهم عاجز تمامًا عن معرفة المكان الذى توجد فيه قطعة ذهب ضاعت منه ..

هناك الجنود ، وهم أكفأ وأكثر شراسة ، لكنهم - كما قال قائده - عاجزون تمامًا عن انتزاع السر من المدينة بكاملها ، لأن تعذيب خمسة آلاف شخص مهمة مرهقة ..

إذن كيف وأين يجد القلادة ؟

سيقوم الآن بقطع بعض الرءوس ، علَّه بهذا النشاط اللطيف المحبب له يظفر ببعض الاسترخاء الفكرى ، الذى يجعل أفكاره أصفى ..

★ ★ ★

فى اليوم الثالث مات (هياو - شى - فاتج) المعلم العظيم ..



وساعدته حتى أمسك بدورق من الماء راح يسكبه على جذورها ..

كان مرهقًا وقد استبدت الشيخوخة بكل خليـة من جسده ، بالإضافة إلى أنه كان محمومًا .. ولكنـه نهض من على الحشية التـى يرقـد عليهـا ، وطلـب مـن (عبير) / (فو ـ لـى) أن تسنده إلـى أن يصل إلـى السنديانة الشامخة أمام الدار ، وساعدته حتى أمسك بدورق من الماء راح يسكبه على جذورها ..

ياله من مجهود أحمق لا يستحق مغادرة فراش الموت ، لكن الرجل كان متحمسًا كأنما ستموت الشجرة الباسقة لو لم يفعل هذا الهراء الذى يفعلـه الآن ، وقال لها بوهن بالغ :

ـ « هى أختى هـذه الشجرة .. وقد أوصيتك بأن تلقى رمادى ليختلط بجذورها .. »

ـ « اطمئن .. أيها المعلم .. مت .. أقصد نم قرير العين .. »

ـ « أوصيك كذلك ألا تعلمى أحدًا أسلوب (تشوب ـ سيوى) إلا من تتوسمين فيـه الخير ، وهو قرار

لا تقدرين على اتخاذه إلا حين تشيب آخر شعرة فى رأسك ، ويمر عليك أربعين صيف »

- « اطمئن .. اطمئن .. فقط اصمت قليلاً »

- « يمكنك أن تكسبى عيشك من تعليم أساليب القتال .. فقط الأوليات .. لكن ليس كل شىء .. »

- « اطمئن .. اطمئن .. لم أر محتضرًا يثرثر إلى هذا الحد .. »

وساعدته حتى عاد إلى الحشية فرقد عليها ، وراح يسعل ويبصق ويمارس كل تلك الأشياء التى يمارسونها المحتضرون بحماسة .. وراح يشير إلى عنقها محاولاً قول شىء ما ، فقالت له :

- « نعم .. نعم .. أعرف القلادة .. اطمئن .. إنها معى »

ابتسم فى إرهاق ثم أغمض عينيه ، وفعل آخر شىء يفعله الإنسان فى هذا العالم ..

وهكذا رحل المعلم العظيم ، ووجدت نفسها وحيدة فى المدينة المسحورة ..

* * *

٦ - مدرسة الثعبان ..

فى القرن السادس قبل الميلاد جاء إلى الصين راهب هندى يدعى (بوديداما) ، حاملاً معه أسلوب الديانة البوذية على طريقة (زن) ، ومعه أسلوب قتالى للدفاع عن النفس يتكون من ١٨ تمرينًا ، وفى الواقع انتشر الأسلوب القتالى فى آسيا بسرعة تفوق انتشار الديانة البوذية نفسها ، وسرعان ما بلغ اليابان ، وقد تشعبت شجرة تلك الفنون القتالية الآسيوية لتتخذ أكثرمن اسم ، منها ما نعرفه وما لا نعرفه وما نسينا أننا نعرفه .. الكاراتى (اليد الخالية) ، والكونج - فو (الملاكمة الصينية) ، والجيجوتسو ، والجيدو ، والتايكوندو ، والسومو ، والكندو والإيكيدو ، والتاى شى شوان . وكما هو معروف فإن الكاراتى و(الكونج - فو) هما النوعان الأكثر شعبية بين هذه الفنون .

نشأ الكاراتى منذ أكثر من عشرة قرون ، فى البداية كتمرين دينى يمارسه الرهبان ، ثم كوسيلة دفاع يستخدمها الفلاحون العزل ضد قطاع الطرق .

الجيجوتسو فن أقرب إلى الرقى وعدم الإيذاء لكنه يميل إلى الالتحام الجسدى ، وتوظيف قوة من يهاجمك فى مصلحتك أنت ، مع توجيه الضربات إلى الأماكن الحيوية من جسمه ، ومنه تطور الجيدو والإيكيدو عام ١٨٨٢ على أيدى الأساتذة اليابانيين .

والإيكيدو والتاى شى شوان فنان قائمان على تحاشى هجمات الخصم عن طريق حركات دورانية ، مع محاولة لىّ المفاصل أو إغلاقها ، وهما على العموم أرقى أنواع الفنون القتالية ، لذا - كالعادة - يحظيان بشعبية أقل . التايكوندو فن قتالى آخر نشأ فى كوريا يستعمل الركل أكثر من غيره ، وله أسلوبه الخاص فى توجيه الركلات فى أثناء الطيران فى الهواء . وقد غزا العالم ابتداء من عام ١٩٦٠ . الكندو تطوير حديث للمبارزة اليابانية القديمة بالسيوف . أما السومو فهو

رياضة يابانية جدًا تقوم على التحام الأجساد العملاقة الشبيهة بالجبال ، لرجلين تحولا إلى كتلة من الشحم والعضلات ، وهو يفتقر بالتأكيد إلى الجمال والرشاقة اللذين تمنحهما باقى الفنون الآسيوية ، لكن له طابعًا يابانيًا حميمًا يعرفه العالم ويألفه .

كل هذه الرياضات تركز على ثلاثة عناصر : القوة - السرعة - التقنية .. والحقيقة أن الرياضات القتالية والبوذية وفنون اليوجا مع المزاج الآسيوى الميال للتأمل ؛ كلها أمور متداخلة ممتزجة بشدة ، بحيث يصعب فصلها ، ولهذا لا يجيد هذه الرياضات إجادة مطلقة إلا من استطاع أن يبرمج جزءًا من عقله ليكون آسيويًا ..

(عبير) الآن - بلا فخر - تملك مدرسة لتعليم أسلوب قتال آسيوى خاص هو أسلوب الثعبان .. وفى هذه المدرسة هى المعلم الوحيد والناظر والفراش .. سبب نجاح هذه المدرسة هو أن الجميع يعرف أنها كانت ربيبة المعلم العظيم (هياو - شى - فانج) ،

وبالتأكيد تعرف الكثير عن أسلوب (تشوب - سيوى) الغامض الذى أبى العجوز تعليمه لأحد حتى ابن الحاكم .. وللأسف ما كان أحد يقدر على إرغام (هياو - شى - فانج) على شىء ..

لكن (عبير) كانت أذكى من أن تمنح أسرارها المقدسة إلى هؤلاء .. لقد اختارت لنفسها منهجًا لا بأس به تقوم بتدريسه ، ويمكن أن يكون مبهرًا ولكنه ليس كل شىء ..

وبعد ثلاثة أيام من حرق جثة العجوز - كعادة المدينة - بدأ الطلاب يفدون إليها ، وقد حمل كل منهم شيئًا يؤكل على سبيل الأجر : ديك .. تفاحة .. كعك .. بعض الأرز .. برتقال .. باختصار : كان أجرها هو أن تظل حية ولا يقتلها الجوع ..

أمسكت بقدح من الشاى الساخن ، وقفت تتأملهم إذ وقفوا فى فناء الدار ، وكانت قد ارتدت نفس الأسمال التى كان يرتديها المعلم ، حتى بدت كالشحاذين ، لكنها كانت تعرف الآن أن القوة الحقيقية تأتى من روح

قوية لا تبالى بهراء الترف والثراء .. وكان تلاميذها مجموعة من الصبية والفتية المراهقين المتهيبين المذعورين ..

قالت لهم :

- « الكبر .. يجب كسر الكبر .. أما الترف فسمَ ينبغى الخلاص منه ، حتى تجد الحكمة أرضًا تنبت فيها .. إن التقشف ترياقكم ، وعليكم أن ترشفوه ببطء وتلذذ .. »

ورشفت جرعة كبيرة من الشاى الساخن ، ثم أمرت أربعة منهم بأن يهاجموها ..

انقض عليها الفتية ، لكنها تتملص منهم إلى اليمين دون أن تبدل من وضع ساقيها أو تهز جذعها .. هجموا من جديد ، لكنها تثنى جذعها للجهة الأخرى وتنتهز الفرصة لترشف فى تلذذ رشفة من الشاى .. ينقضون بعنف حتى ليحدث سلاحهم صفيرًا وهو يشق الهواء ، لكنها من جديد تتحرك برشاقة إلى

الخلف .. أمام .. يمين .. خلف .. تثب .. تنحنى .. خلف .. أمام .. أسفل .. يمين .. يسار ..

ثم ترشف رشفة أخرى من الشاى ..

وأخيرًا تقول لهم فى ثبات :

- « أنتم غاضبون .. لهذا صرتم تفكرون بحماقة ، ولا تلاحظون جيدًا .. »

هنا صاح أحد الصبية اللاهثين :

- « فهمت ! إن (فو - لى) ذات الغمازتين (تبلف) يا رفاق .. هذا القدح فارغ !! »

- « حقًا ؟؟ »

قالتها وطوحت القدح فى الهواء ، ليتناثر منه السائل الأخضر الساخن فى كل صوب ..

هذه المرة كان القدح مليئًا فعلاً ، ولم تنسكب منه قطرة واحدة !

* * *

ومرت الأيام ، كما فى السينما حين تتطاير أوراق التقويم فى وجوهنا .. الفارق الوحيد فى (فانتازيا) هو أن (عبير) تشعر بمرور الزمن حقًا ، لكنها لا تشعر بملله ولا رتابته .. هى فقط تعرف أنه مر ..

تقدم التلاميذ لكنهم لم يصلوا لمستواها بالطبع ، والسبب هو أنها تدارى سر أسرار العجوز (هياو - شى - فانج) فى قلبها .. لن تعلمهم أبدًا كيف يتنبئون بالضربة القادمة قبل أن يخمنها الخصم . ولا كيف يصرخون الصرخة إياها التى يمكن أن تشل أسدًا وتجعله يولى الأدبار ، ولا نظرة العينين الثاقبة التى تربك من يراها ..

ولم تدرك أن اليوم آت لا محالة حين تضطر لاستعمال هذه الأساليب ..

* * *

نحن الآن فى قصر (جيانغ - سه) الذى اشتهر بالتنين لأسباب لا أعرفها حقًا . فى الغالب لأن كل

شىء الصين هو تنين بشكل أو بآخر .. عيد التنين .. باب التنين .. حتى المرض يعالجونه بأسنان التنين المطحونة .. يبدو لى أن التنانين كانت تملأ أرض الصين وسماءها فى وقت بعينه من التاريخ ..

هو ذا (جيانغ - سه) الرهيب وسط رجاله ونسائه يلتهم قطعة كبيرة من اللحم ، ويتأمل غلامًا ممزق الثياب متورم العينين فى الثامنة من عمره ..

يقول له ثور الجر وهو يجرد سيفه :

- « هل أفتح بطنه الآن أيها التنين ؟»

يداعب التنين ذقنه بيده التى استحالت أظفارها مخالب ، ويتأمل الصبى مفكرًا :

- « لا أظن .. إنه صغير السن جدًا ، ولسوف يكون مشهدًا قاسيًا .. »

ثم أشار إلى النمر المربوط بالسلسلة وقال :

- « دع النمر يلتهمه أمامى .. سيكون هذا أكثر تسلية .. »

هنا صاح الصبى وقدماه لم تعودا تحملانه :

- « مولاى التنين الأعظم ! أنا لم أفعل ما أستحق عليه الموت .. »

- « نحن من يحدد هذا .. هل تنكر إذن أنك احتفظت بتلك التفاحة ولم تعدها لقصرى ؟ »

- « كنت جائعًا أيها التنين الأعظم ، ومررت جوار أسوار القصر .. هوت تلك التفاحة على رأسى ، ولم أدر أنها من شجرتكم .. هممت بالتهامها ، لكن الحراس انقضوا علىَّ وأوسعونى ضربًا .. »

بدا الرضا على التنين ، وتحسس التفاحة بحنان :

- « هذا هو سر نجاحى يا غلام .. أنا لا أترك شيئًا يضيع من يدى ..ولربما كانت نهايتك قاسية .. لكنها ستعلم الأوغاد الآخرين أن الاحتفاظ بتفاحة تخص التنين هو عمل خطير ، لا يعوضه مذاق التفاح فى الكون كله .. »

ثم أشار إلى حارسه آمرًا :

- « (شانج) ! فكوا سلسلة النمر ! »

اتجه (شانج) إلى السلسلة ، وأخرج مفتاحًا من جيبه وراح يعالج القفل ، فيما بدأ النمر فعلاً يلتهم الغلام بعينيه قبل أن يلمسه .. صاح الغلام فى هلع :

- « سيدى التنين ! أنت لن تفعل هذا .. »

- « أعطنى سببًا واحدًا يمنعنى .. لكن لا تتحدث عن الرحمة ، فهى موضوع ممل يعكر صفوى »

- « أنا مصمم على أن أفتدى حياتى .. »

- « كلام جميل .. ولكن كيف ؟ »

- « لو أبعدت هذا النمر ، فسوف أخبرك بسر يهمك أمره ! »

نظر التنين إلى رجاله وانفجر ضاحكًا ، ومعه انفجر الرجال ضحكًا على سبيل التملق .. أخيرًا قال :

- « هوه هوه ! الغلام يساوم ! هوه هوه ! يا له من تاجر بارع .. الحق أن هذا البائس قد بدأ يروق لى ..

إنه لا يعرف أن بوسعى أخذ ما أريد حين أريد دون مساومة .. ولكن .. أعد السلسلة إلى عنق النمر يا (شانج) ولنر ما هناك .. »

نظر الغلام حوله فى حذر ، وقال مرتجفًا :

- « إذن تعطينى الأمان ؟ »

- « هو لك لو كان سرًا مهمًا .. »

- « هو مهم إلى درجة أننى أرغب فى إخلاء القاعة .. »

- « لا وقت لذلك .. تكلم .. »

قرب الصبى وجهه من وجه التنين ، وقال همسًا:

- « القلادة .. نصفها الآخر .. أنا أعرف مكانه ! »

* * *

٧ ـ الغمازتان ضد التنين ..

(وليس هذا اسم فيلم من أفلام هونج كونج)

ـ « ماذا تنتظرون أيها الأوغاد ؟ أخلوا القاعة حالاً !!! »

هذه طبعًا كانت من التنين ، الذى جعلت صيحته الجدران والقلوب والسيقان ترتجف ، وإن هى إلا بضع ثوان حتى خلت القاعة من كل كائن يتنفس ، وحتى النمر تظاهر بأنه لا يسمع ما يقال ...

خلا المكان من البشر ، فانحنى يمسك بالغلام من تلابيبه ، ويعيد سؤاله :

- « ماذا قلت ؟ »

الحقيقة أن الغلام لم يحسب أن الأمر بهذه الخطورة ،

وحين رأى ملامح التنين الشيطانية المتقلصة وعينيه شبه الجاحظتين ، كاد قلبه يكف عن الخفقان .. والحقيقة - نعترف - لم ير أن النمر كان بهذا السوء ..

قال مرتجفًا وقد بدت دموعه تسيل :

- « نصف القلادة الذى تبحث عنه .. أنا أعرف أين نصف القلـ .... »

- « أعرف أيها الحمار ! لا تكرر نفسك مرتين ! »

- « إنها لدى العجوز (هياو - شى - فانج) .. أعنى عند ربيبته (فو - لى) ذات الغمازتين الآن ! »

- « وكيف عرفت هذا كله ؟ »

- « كنا نلعب أمام داره ، ورأيناه جالسًا مع الفتاة يشرب الشاى فى فناء داره ويحدثها .. بعدها انتزع هذا الشىء من حول عنقه ، وأمرها بأن ترتديه حول عنقها هى .. »

- « وكيف عرفت أنها القلادة ؟ »

- « إن الأساطير معروفة فى المدينة ، والقلادة التى تم كسرها إلى نصفين يمكن تمييزها من بعيد .. »

أطلق التنين سراح الغلام وراح يفكر ...

إن الغلام لا يكذب .. لا أحد يكذب بهذا التعقيد ، ولا أحد يكذب وهو خائف إلى درجة أنه بلل سرواله ..

نعم .. هكذا تبدو الأمور منطقية منظمة كما ينبغى أن تكون الحياة .. فقط فى القصص التى يحكيها الأجداد تكون الحياة منطقية مفسرة بهذا الحد ، ويكون لكل شىء مبرر ما .. تأمل الجوانب الشعرية فى الموضوع .. القلادة لها نصفان : النصف الأول مع أشر أشرار المدينة ، والنصف الآخر مع أخير أخيارها .. العدوان القديمان العتيدان .. قطبا إبرة البوصلة التى اخترعها الصينيون .. النور والظلام .. الأبيض والأسود .. وبينهما تتوزع أشنع قوة عرفها الكون بحيث لا يظفر بها أحدهما ..

هكذا تغدو الأمور واضحة بلا التباس .. على أن

الفارق الوحيد عن القصص هنا هو أن الشر سينتصر .. بالتأكيد سينتصر .. لماذا ؟ لأن العجوز (هياو - شى - فانج) قد مات .. من حسن حظه أنـه مات .. وربيبتـه هـذه لن تصمد طويلاً أمام (جيانغ - سه) الرهيب .. التنين .. منذ متى تصمد الغمازتان أمام التنين ؟

ونظر إلى الغلام وابتسم فى وحشية ..

قال الغلام متوجسًا :

- « طبعًا ستقتلنى الآن .. وتقول إنك كذبت حين وعدتنى بالأمان ، وإنه ما كان على أن أصدق شريرًا مثلك ؟ كلهم يفعلون هذا »

- « كلا يا غـلام .. لحسن حظك أن الخبر الذى جئت به أجمل ما سمعت فى حياتى .. لن أفتك بك .. ولكنـى مضطر لإلقائك فى السجن حتـى لا يتسـرب خبر أننى أعرف .. »

وربّت على خد الغلام فى حنان شنيع ، وقال :

- « هلـم يا غـلام .. لاتحـزن .. سأطلق سراحـك



ونظر إلى الغلام وابتسم في وحشية ..
قال الغلام متوجسا : « طبعا ستقتلنى الآن » ..

سريعًا جدًا .. وساعتها سترى أشنع تجربة رآها الناس منذ عهد أسلافنا العظام .. »

★ ★ ★

بالطبع لم تعرف (عبير) هذا إلا متأخرًا جدًا ..

كانت تمشى فى السوق كعادتها ، وبالطبع كان استقبالها يختلف كثيرًا عن المرة الأولى .. الباعة يبشون فى وجهها ويلقون لها ثمرات الرمان والبرتقال ، مع الصفة التى أحبت أن تقترن بها :

- « تحية يا ذات الغمازتين .. يا بنة الشمس والقمر .. »

كان الكلب الأجرب (شنج - لى - موه - فونج) يمرح كعادته بقربها ، ثم توارى بين أوتاد الخيام المنصوبة ، فلم تقلق عليه .. هذه هى مزية أن يكون الكلب أجرب معدوم الحيلة .. لا أحد يرغب فى سرقته ..

دنت من بين طبقات قماش الخيمة وأمعنت النظر إلى المشهد التالى :

كان هناك شاب غير مهندم الثياب ، له قامة ولون بشرة ولون شعر وملامح رجل غير آسيوى ، يسرق .. نعم يسرق بعض النقانق من على منضدة بيع ، بينما البائع متكئ على الأرض منهمكًا فى تدخين الأفيون .. والأفيون - بالمناسبة - هو الطريقة التى اختارها المستعمر البريطانى لاحتلال الصين .. إن شعبًا غائبًا عن الوعى بفعل الأفيون لا يقاوم مستعمره بحماسة ، هذا إن قاومه أصلاً .. هل تذكرون موضوع حرب الأفيون الذى كان مقررًا علينا ، والذى استطاعت عصا الأستاذ (جودة) مدرس التاريخ أن تحفره فى أذهاننا للأبد ؟ نسيتموه برغم العصا ؟! رباه ! كنت أود أن أذكركم به ، لكن هذا استطراد طالما أثار الحنق على كاتب هذه السطور .. فلنعد للسياق إذن ..

كنت أقول : إن الفتى كان يسرق النقانق ، ووقفت (عبير) ترمق هذا المشهد المذهل فى فضول ..

وهنا أدركت أنها لن تبلغ القوم عن الفتى .. لا لن تفعل .. السبب هو أن هذا فتاها بالتحديد .. ملامح زوجها (شريف) التى لا تخطئها أبدًا .. ومعنى هذا أنه سيكون عليها أن تحب هذا الفتى وترتبط بمصيره طيلة القصة .. الروتين دائمًا .. الروتين .. لقد تعلمت هذا مرارًا فى (فانتازيا) ، ومن الحمق إذن أن تفسد كل شىء باستدعاء القوم ..

هنا ابتعد الفتى عن المنضدة وقام بعمل غريب بعض الشىء .. لقد ابتعد بضع خطوات ، ثم انحنى ووضع النقانق على الأرض أمام شىء ما .. كلبها الأجرب على وجه التحديد ..

ما معنى هذا ؟ هل معناه أن عليها تعليمه أسلوب (تشوب سيوى) ؟ ليس بهذه البساطة ، وليس من واجبها تعليم هذا الأسلوب لكل من يطعم كلبها .. ثم إن كلمات المعلم الأخيرة كانت واضحة لا لبس فيها :

« أوصيك كذلك ألا تعلمى أحدًا أسلوب (تشوب

سيوى) إلا من تتوسمين فيه الخير ، وهو قرار لا تقدرين على اتخاذه إلا حين تشيب آخر شعرة فى رأسك ، ويمر عليك أربعون صيف »

* * *

« أنت أيها اللص !! »

دوت الصيحة فالتفتت إلى الوراء لتجد البائع قد أفاق أخيرًا ، ورفع الساطور يريد أن يفلق به رأس الفتى ..

وسمع القوم فى السوق النداء ، فهرعوا بالغوغائية المعتادة يلحقون بالمشهد ، وتعالى السباب .. أما الفتى فوقف متجمدًا كفأر وقع فى مصيدة .. مئات الوجوه الصفراء تحيط به ، حتى غدا من العبث أن تقنعهم أنه سرق لإطعام كلب جائع .. هنا بدأ يفعل أشياء غريبة ..

رأته (عبير) يكور قبضتيه .. وقد فرد أحد الذراعين للأمام ، بينما ضم الذراع الآخر كأنما ليحمى وجهه ..

وراحت ساقاه تهتزان جيئة وذهابًا ، وهو يتواثب للأمام والخلف .. دنا منه أحد الصينيين ليلقنه درسًا ، لكن قبضة الفتى طارت كالبرق لتلطم فكه .. ترنح الرجل ثم هوى كالدن الثقيل ..

إنه يتحدانا إذن ذلك اللص الأوروبى !

وتقدم رجل ضخم الجثة كى يؤدب الفتى ، وعلى وجهه تعبير أنه لا يحب هذا المزاح .. طارت قبضته نحو وجه الفتى ، لكن هذا انحنى فى رشاقة ليتفادى القبضة ، ثم طارت قبضته لتدفن نفسها فى لحم بطنه الرخو .. أوعععع ! قالها وتكور على نفسه ، وسال دم كثير من فمه ..

- « هذه طريقة قتال الشياطين ! هذا الفتى شيطان متنكر ! »

ويتقدم القوم واحدًا بعد آخر ، لكن الفتى يتواثب كالمانجوس حول الكوبرا ، ومن آن لآخر يسدد ضربة قاتلة إلى بطن أو صدر أو فك خصمه ، فيسقط هذا أرضًا .. الخلاصة أنه جندل خمسة منهم ..

حمل القوم عصيهم وقرروا أن يهجموا فى الوقت ذاته .. إن الفتك بهذا الفتى سيكون متعة دونها مصارعة الديكة فى حانة (فان - كوان) العجوز .. وبدا للحظة أن الأمر منته .. هنا ..

- « هبونى حياته يا أهل المدينه المسحورة ! »

كذا صاحت (عبير) وهى ترفع كفها بطريقة آمرة .. صاح أحدهم فى احتجاج :

- « هذا لن يكون يا (فو - لى) ذات الغمازتين .. إن مكانه هو قصر الحاكم ، حيث يلقى جزاءه .. »

من نطاقها أخرجت بعض ثمار الفاكهة ، وقذفتها على المنضدة أمام البائع وقالت :

- « هل أنت راض يا (ماو - شون - قه) ؟ »

نظر إلى ما وضعته ، وقال فى تردد:

- « راض يا (فو - لى) يا ذات الغمازتين .. ولكن .. »

طوَّحت بضفيرتها الجميلة إلى كتفها الآخر ، وصاحت :

- « دعه وشـأنه يا (ماو - شون - قـه) .. قد نلت ثمن ما سرق منك ، ولو كان لمعلمى العظيم خاطر عندكم فأنا أسألكم أن تطيعونى .. »

بدا على القوم أن للمعلم العظيم خاطرًا كبيرًا ، وبدءوا يتفرقون فى حيرة ..

أشارت إلى الشاب المذهول وقالت بلهجة آمرة :

- « فلتتبعنى .. »

* * *

٨ - جاءوا ليأخذوها ..

قدمت لـه بعض العصيدة مع السمك المملح ، وكان هو جالسًا على الأرض ساهمًا ينظر إليها فى فضول .. كان يتحدث الصينية ويفهمها لهذا لم تجد صعوبة فى فهمه وإفهامه ..

سألته وهى تربت على ظهر الكلب :

- « ما تلك الطريقـة القتـالية التى اتبعتها فى السوق ؟ »

ملأ فمه بالعصيدة الكريهة ، وقال :

- « اسمها (الملاكمة) .. إننى أتبع طريقة الماركيز (كوينزبرى) العظيم .. استخدام القبضتين فى حماية الوجه والجذع ، ثم استغلال الثغرات لتوجيه لكمات قاضية إلى الخصم(*) .. »

(★) يوجد هنا خلط تاريخى كالمعتاد فى (فانتازيا) .. إن (الماركيز كوينزبرى) وضع قواعد اللعبة فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، ومن الواضح أن قصتنا هذه تحدث قبل هذا بقرن أو قرنين ..

- « لا ركلات ؟ »

- « لا ركلات .. إن رياضة (ملاكمة الركلات) أو (كيك بوكسينج) لم تخترع بعد .. »

ساد الصمت قليلاً ثم سألته :

- « من أين أنت ؟ »

- « (جاك دلبيرت) .. إنجليزى .. »

- « لاتبدو لى من سلالة ملوك إنجلترا ، وأراهن أنك لا تملك قصرًا ، فهلا حكيت لى قصتك ؟ »

حك شعره الأشقر المشعث ، وقال فى ملل :

- « لا شىء .. بحار على سفينة اعتادت التعامل مع التجار الصينيين .. قراصنة صينيون .. الموت لجميع رجال الطاقم .. الهرب .. الأرض تلوح بعد أسبوع فى المحيط ، ثم الوصول إلى المدينة المسحورة .. »

- « قصتك تحدث كل يوم »

- « بالفعل هى كذلك .. لهذا أخجل من سردها لأنها مملة »

تأملت طبق العصيدة الذى فرغ منذ ثوان فى يده ، وقالت :

- « سأقدم لك عرضًا .. ستقيم هنا فى مدرسة الثعبان ، وتنال طعامًا ومكانًا للنوم .. فى المقابل أريد أن أتعلم منك هذا الأسلوب القتالى الغريب .. إنه يختلف كل الاختلاف عن أسلوبنا هنا .. وأنا معلمة قتال ، ويجب أن أعرف أكثر »

ابتسم فى ارتياح ، وتأمل المكان حوله ، ثم قال :

- « ماذا لو طلبت فرصة للتفكير ؟ »

- « بل يجب أن تطلب فرصة للتفكير .. نحن هنا فى آسيا القديمة حيث الزمن لا معنى له .. يستطيع المرء أن يتأمل ويقلب الأمور بضعة قرون لو أن العمر سمح له بذلك .. »

ولكنه لم يستغرق كل هذه الفترة ..

لقد عاد إليها بعد ساعتين راح يجول فيهما فى الفناء الخلفى للدار ، وقال لها :

- «موافق يا (فو - لى) .. ليس لدى اختيار آخر .. »

تظاهرت بالبرود ، وإن اعترفت لنفسها بأنها راضية كل الرضا عن هذا القبول ..

* * *

لا تدرى متى ولا كيف استيقظت ، وكان القمر يتسلل من النافذة الوحيدة للدار ، ونظرت إلى الكلب النائم بجوارها .. كان نائمًا بعمق ، لكن هذا لا يهم .. إنه أحمق .. ربما أغبى كلب رأته فى حياتها ، ومن الوارد أن يثور بركان أو يتحرك زلزال دون أن يشعر ؛ لأنه لا يملك من غرائز الحيوان إلا الجوع ..

نظرت خارج النافذة فوجدت مجموعة من الأشباح ، وسمعت مجموعة من الصيحات القصيرة .. إن الضيف الجديد ينام هناك فى الفناء الليلة ، ولا يمكن أن تكون هذه الأصوات بسبب كوابيس يراها ..

لم تنتظر أكثر وتسلقت النافذة لترى ما هنالك ..

هناك ترى تلك المجموعة من الأشباح ، وتدرك أن

الفتى الوافد الجديد يقف فى وسطها ملوحًا بقبضتيه .. يبدو أن نحو عشرة من الرجال ضخام الأجساد يهاجمونه ، وهو يحاول بقبضته إنهاء القتال على طريقة .. طريقة (كازبورى) أو (كادبورى) هذا .. كان يؤدى عملاً لا بأس به على الإطلاق .. وقد أسقط منهم ثلاثة أو أربعة .. لكن الكثرة تغلب الشجاعة على كل حال ، خاصة إذا كانت الكثرة تحمل السيوف والخناجر ..

شعرت بغضبة عاتية بسبب تدنيس دارها بهذا الشكل المهين .. لا بد أن هؤلاء القوم لا يغتسلون بماء (اليانج - تسى) ، ولا يشعلون الشموع للمانشو .. وثبت من النافذة ، وأدركت أنها ترتجف غضبًا .. أخذت شهيقًا عميقًا لأنها سمعت صوت أستاذها العظيم :

« الخطأ الثالث هو أنك غضبى .. وحينما تكونين غضبى يستطيع طفل أن يخدعك .. »

* * *

إنها تعرف كيف تتحكم فى مشاعر الخوف والغضب ، وكيف تأخذ شهيقًا عميقًا تتخيل معه - بل تدرك - أنها احتوت النرفانا الحيوية فى الكون داخل رئتيها ، وتشعر بها تسرى مع الدم إلى كل خلية منها .. ومع النرفانا تدنو ببطء من حقائق الأشياء ، وتستطيع أن تفهم كيف تثب الذبابة من فوق المنضدة حين تهوى بقبضتك عليها ...

إنها تعرف أن خصومها - مهما بلغ عددهم - ضعفاء جدًا واهنون جدًا ، وتوشك على الشعور بالشفقة من أجلهم ؛ لأنهم حمقى لا يدركون مغبة تحدى من يجيد أسلوب (تشوب سيوى) ..

* * *

وقفت فى الفناء فى ضوء القمر ، وصاحت بأعلى صوتها :

- « أنتم دنستم فناء دارى بأقدامكم ، وإننى آمركم بالرحيل حالاً .. »

تصلب الجميع .. ثم تخلوا عن حصارهم للفتى ، وبدأ ستة منهم يتقدمون منها وهم يلوحون بأسلحتهم ، التى تلتمع فى ضوء القمر الفضى البارد .. وقال قائل منهم لم تتبين وجهه فى الظلام :

- « يا (فو - لى) ذات الغمازتين .. ثمة شىء معك يريده التنين .. شىء حول عنقك بالذات .. ونحن راغبون بحق فى حقن الدماء .. فقط أنت تفهمين ما نريد قوله .. »

نعم تفهم .. المصيبة أنها تفهم .. ويعلم الله أنها لاتدرى من أين عرفوا .. هؤلاء جاءوا إذن لذبحها وهى نائمة وسرقة قلادتها ، لولا أن تعثروا فى الإنجليزى النائم ، ولم يكن سهل الهضم على ما يبدو ..

اتخذت أحد الأوضاع الأستاذية البارعة التى تعلمتها من المعلم الذى لحق بأجداده : وضع اللقلق .. لا أدرى ما هو بالضبط لكنه كذلك .. وقالت وهى تفتح ذراعيها بأسلوب الإنذار النهائى :

- « لقد أردتم القتال .. فأنا له ! »

لا تدرى لما قالتها ، لكن هذه العبارة تتردد فى كل فيلم (كونـج فـو) تقريبًا .. حتـى صـار لهـا مـذاق (صباح الخير) عند الاستيقاظ ،و (آلو) عند الكلام فى الهاتف ..

وكأنمـا كـانت هذه هـى الإشـارة ، انقض الرجـال عليها بأسلحتهم ، وهم يتصايحون ..

لكن (عبير) كانت تتواثب وتوجـه اللكمـات كـالقط البرى .. تركل .. تنحنى .. تقف على ذراعيها الممدودتين ، وتدور كالعجلة .. ثم تمارس الشـىء الذى لا تصـدقه مالم تره .. تثب .. تطير على ارتفاع ستة أمتار ، ثم تهبط على سـاقيهـا لتوجـه لكمة إلى عنق أحدهم إن أسلوب (تشوب سيوى) يعمل جيدًا ..

★ ★ ★

« نعم هزمتهم فى القتـال ، لكنى هُزمت أنـا نفسى حين عجزت عن كبح جماح غضبى ، وأرديت خمسة منهم قتلى ! إن الهزيمة أمام الغضب أشـد خزيًا مـن ألـف هزيمـة بيـد الأعـداء ، وقد كففت عـن تنـاول

الشاى لمدة عامين تكفيرًا عن أرواح هؤلاء الأبرياء ! »

★ ★ ★

لهذا توقفت وقد أيقنت أنهم لن يستطيعوا مزيدًا من العنف ...

راحوا يلملمون جراحهم وجرحاهم ويرحلون ..

جثت على ركبتيها لترى الفتى الذى كانت لثته تنزف ، والكدمات تملأ وجهه وما حول عينيه ، فساعدته على النهوض .. قال وهو يبحث عن ساقين يقف عليهما :

- « آى ! إن تقاليد الضيافة هنـا غريبة نوعًا .. لم أتوقع .. آى .. كل هذا الترحيب ..»

- « إنهم ودودون هنا .. هل نسيت السوق ؟ »

- « ولماذا يفعلون .. آى !! هذا ؟ »

- « لنفس السبب القديم قدم التاريخ . لدى شـىء لا أريد أن أعطيه لهم وهم يريدونه . »

- « آى .. وما هو ؟ »

إذن أن تنتزع القلادة وتخفيها فى مكان آخر .. صحيح أنها فى أمان لا بأس به حول عنقها ، وصحيح أنها ستدافع عنها حتى الموت ، لكنها لا تضمن حياتها .. إن رمحًا يطير فى الظلام ، أو هجمة غادرة مثل التى حدثت أمس قد تقضى عليها ، وعندها سيحز هؤلاء القوم عنقها ، وينزعون القلادة بالطريقة السهلة : من أسفل العنق لا من أعلى الرأس !

مدت يدها إلى القلادة وهمت بنزعها ، لكن شيئًا غريبًا حدث ..

لقد راح المعدن يتوهج .. يتوهج .. يسخن .. يسخن ..

آهههه ! حزام من نار يحيط بعنقها حتى صار من العسير أن تحاول ..

ما معنى هذا ؟ ما الذى ؟

ابتعدت يدها عن القلادة ، هنا شعرت بها تبرد ببطء وعادت إلى سيرتها الأولى ..

ابتسمت فى غموض ابتسامة لم يرها فى ضوء القمر ، وقالت بلهجة ذات معنى :

- « هذه أشياء لا تحكى لغريب لم يلقه المرء إلا منذ يوم واحد .. »

- « هذا صحيح .. آى .. »

قالها فى خجل ، وصمت .. مرت هنيهة ثم قالت :

- « لكنك أنقذت حياتى .. شكرًا لك .. »

- « لا أحد يستطيع إنقاذ حياة فتاة تقاتل مثلك .. هذا شرف لا أدعيه ، ولعلك أنقذت حياتى للمرة الثانية »

★ ★ ★

مر يومان ..

وأدركت (عبير) أن القصة لم تنته نهاية سعيدة بعد ..

سيعود (جيانغ - سه) لأنه من طراز الأوغاد المثابرين الذين لا ييئسون بسهولة .. من الحكمة

هذه القلادة تأبى التخلى عن عنقها ، والغريب أن المعلم العجوز قد نزعها بسهولة تامة من قبل .. كأن القلادة تعرف أن مصيرها حول عنق (عبير) للأبد .. ولكن .. يا له من مأزق !

* * *

٩ - المباراة ..

فى الصباح جاء (سونج بياو) ابن التنين ..

كان وحيدًا لا يصحبه إلا حارسان مدججان بالسلاح ، وكان الفتى متأنقًا مضمخًا بالعطر ، وقد حرص على أن يطوح برأسه لتبدو ضفيرتاه الطويلتان للعيان ..

كانت واقفة فى فناء الدار ، حين رأتهم قادمين من بعيد .. تبادلت نظرة ذات معنى مع الإنجليزى وقالت همسًا :

- « هلت روائح الأحبة ! »

ثم شرحت له - باختصار - أن (سونج بياو) وغد رقيع وهو ابن (جيانغ - سه) الذى هو وغد غير رقيع .. إنها لم تلق الأخير قط ، لكن من الواضح أنه الشر يمشى على قدمين ..

وفى ثبات تعلمته من أستاذها ، وضعت جذعًا خشبيًا فوق قطعتى قرميد ، ثم رفعت سيف يدها وأطلقت صرخة عاتية : »

- « كايييييى !! »

وهوت على الجذع لتحطمه إلى نصفين .. فعلتها كأنها لا تلاحظ القادمين ، وكأنها تقوم بنشاط يومى رتيب .. كان هذا فى الوقت الذى دنا فيه الفتى وحارساه منها ، فوقفت ومسحت يدها فى خرقة قماش ، وانحنت بحركة احترام ساخرة وقالت :

- « يا للشمس والقمر ! ابن التنين العظيم فى دارى الحقيرة ! »

لم يبد مستعدًا لمجاراتها فى الكلام المسموم ، وقال وقد بدا عليه بعض التوتر :

- « (فو - لى) .. أنا هنا فى مهمة محددة .. وأبغى الكلام على انفراد .. أنت من القوة بحيث لاتحتاجين إلى وجود هذا الأوروبى الناعم هنا بجوارك ..»

كور (جاك) يديه واستعد للشجار ، لكنها هدأت من روعه بإشارة عابرة ودعته للابتعاد ..

فما إن اختلى بها (سونج بياو) حتى تهلل وجهه وهتف (أتراه فى شىء من الرقة ؟)

- « (فو - لى) إلى متى ستبقين بعيدة عنا ؟ أنت قوية ويمكنك أن تكونى منا .. إن المرء ليجد عسرًا بالغًا فى نسيان هاتين الغمازتين اللتين .. »

- « لو اختصرت الكلام لكنت شاكرة .. »

- « حسن .. لنقل إننى أهيم بك حبًا منذ موضوع السوق إياه .. »

فلما رأى وجهها يربد وقبضتها تتكور ، هتف فى جزع ملوحًا بكفه :

- « .. لكن هذا ليس موضوع زيارتى .. هذا ليس موضوع زيارتى .. لقد أرسلنى أبى برسالة مختصرة لك .. »

- « القلادة أو الموت .. »

- « أنت تتكلمين بلسانى حقًا .. ودعينى أؤكد لك أن أبى شرير بما يكفى .. أنا نفسى أرتجف هلعًا كلما رأيت ما يفعله ، وأتساءل : أى نوع من البشر هذا .. صدقينى إن عداوته غير مستحبة ، وأنا أخاف عليك من مغبة شىء كهذا .. »

- « لذا جئت تطالب بالقلادة .. »

- « هـذا سيمنحنا حياة أطول وأهنأ .. لكنى على كل حال جئت أقدم لك عرض أبى ، وهو يبدو عرضًا لا غبار عليه .. »

وقدم عرضه : سيربح التنين القلادة فى قتال شريف يقام فجرًا عند بوابة التنين الذهبى .. سيكون على (فو ـ لى) أن تواجه خمسة من المحاربين المقتدرين .. الواحد تلو الآخر بطريقته .. فإن ربحت كانت القلادة لها بالكامل ، ولها أن تفعل بها ما تشاء ، أما إن خسرت فعليها أن تسلمهم القلادة ..

قالت (عبير) مفكرة :

- « هذا يبدو غريبًا .. لماذا لم يلجأ أبوك للحيل القذرة ؟ »

- « لأن أبى يريد الحصول على القلادة سريعًا دون إضاعة وقت ، وقد رأى مما فعلت برجاله أنك صلبة قادرة على المقاومة فترة لا بأس بها .. هذا الحل لن ترفضيه لأن محارب (تشوب سيوى) لايرفض التحدى أبدًا .. »

- « وهبنى رفضت ؟ »

- « سيلجأ إذن إلى الطرق الصعبة القذرة .. وثقى أنه بارع فيها .. »

واستدار الفتى إلى حارسيه داعيًا إلى الانصراف ، وقال قبل أن يرحل :

- « سنكون هناك فى الموعد ، ولسوف نعرف ردك وقتها ، فلا تتجشمى مشقة إرساله لنا .. »

* * *

قالت (عبير) لمرافقها الإنجليزى ، وهما يتجهان

إلى بوابة التنين الذهبى (وكل مدينة صينية تملك واحدة منها) :

- « المهم ألا تتدخل مهما حدث .. »

كان يحمل العصا وسيفين ، وإن لم تكن الحاجة ماسة إليهما كما قلنا .. وقال لها لاهثًا :

- « لن تنجحى .. ولو نجحت لبدأ الجزء الثانى من الخطة .. »

- « وهو ؟ »

- « قتلنا والاستيلاء على القلادة .. ولكنك لم تخبرينى بأهمية هذه القلادة التى يحدث كل هذا بسببها ؟ »

قالت وهى تجد السير :

- « إنها مهمة وكفى .. أقسم إننى لا أعرف سر أهميتها ، لكن المعلم كان يعرف ما يقول .. »

ضوء الفجر الغامض الذى يأبى الاعتراف بأنه

أزرق ، ويرفض بكبرياء أن يكون أرجوانيًا أو أحمر .. هذا الضوء يغمر كل شىء معلنًا تلك الفترة التى يتردد فيها الوجود بين ليل ونهار ..

البرد يخترق الجلد ليدغدغ العظام ، والهواء النقى الذى ينسى المرء أنه موجود ، الطيور تصحو من النوم لتتساءل : أين وكيف ومن ؟ لاصوت سوى ارتطام أربعة أحذية بالكلأ المبتل الرطيب .. ولا صوت سوى لهاث حامل السلاح ..

وأخيرًا تلوح البوابة من بعيد مدثرة باللون الأرجوانى ..

لماذا هى بوابة التنين الذهبى ؟ سؤال غريب .. بالطبع لأن عليها نقشًا بارزًا لتنين يلتف حول نفسه ، ويطلق النار من منخريه وفمه ، وهو نقش طلى بلون الذهب وراح يتوهج فى ضوء الشمس القادمة من بعيد ..

وكان الرجال ينتظرون .. وللمرة الأولى ترى

(عبير) (جيانغ ـ سه) ، وأدهشها أنها للمرة الأولى تبصر من يبدو شريرًا إلى هذا الحد .. كل الأشرار الذين يقابلهم المرء هذه الأيام يبدون أناسًا عاديين .. لكن التنين (جيانغ ـ سه) كان شيطانًا بكل البشاعة التى تخيل بها الرسامون صورة الشيطان .. فى تلك الأيام السعيدة كان الأشرار يبدون أشرارًا بحق ..

كان واقفًا وسط رجاله .. وحوله مجموعة من الحكماء ذوى اللحى التى تلمس الأرض ، وكان هناك خمسة من الرجال شرسى المنظر كلهم عراة الجذوع ، واضح أنهم مصارعون أو شىء من هذا القبيل .. وبالطبع كان ابنه (سونج بياو) وسط الواقفين ..

وقفت أمام التنين وحاولت أن تبدو متماسكة .. قالت :

- « قد جئت أيها التنين .. »

- « عرفت أنك آتية يا ذات الغمازتين .. ولم تتأخرى كثيرًا .. »

ومد يده فى صدر ردائه فأخرج نصف القلادة ، ولوح به فى وجهها باسمًا ، وقال :

- « نحن الآن نلعب بوضوح .. وكلانا يعرف ما يريده الآخر .. »

ثم نظر إلى أحد الحكماء الملتحين من حوله وقال :

- « الحكيم (فانج) سيكون هو الحكم .. والآن يمكننا البدء .. إننى مشتاق إلى الحصول على القلادة .. »

- « وأنا كذلك .. »

وبحركات آلية أخرج الحكيم كيسًا من الأرز ، وفتحه ليبعثر حباته فى الهواء معلنًا بدء القتال .. وهى الطريقة التى يتبعونها فى بدء مباريات (السومو) اليابانية ..

المصارع الأول هو (كاى ـ ون ـ شياه) .. إنه أصلع الرأس ذو شاربين عملاقين يحيطان بفمه ، وله طريقة مميزة فى البصق على الأرض من فوق

كتفه الأيسر كلما شعر بالغيظ ، وهو مغتاظ دائمًا بالمناسبة ..

(كاى ـ ون ـ شياه) خبير فى أسلوب التمرغ على الأرض حتى يعرقل خصمه ويربكه ، ويبدو أن هذا الأسلوب يدعى (أسلوب الخلد) .. فلم تكد (عبير) تتخذ وضع بدء القتال ، حتى كان الرجل قد تكور حول نفسه ككرة وانسل بين قدميها ، وهكذا وجدت نفسها تتعثر فتسقط .. الجبل يثب فوقها لكنها تكور قبضتها بشكل رأس الكبش المعروف وتدفنها فى معدته ، ينهض صارخًا ويبصق ثم يواصل الهجوم ..

يواصل الخلد محاولة حفر أنفاق تحت رجليها ، لكنها تركله فى خصره .. فى رئته .. فى وجهه .. وتمنعه من الإمساك بقدمها كى يسقطها أرضًا .. تتواثب من حوله وضفيرتها تتطوح يمينًا ويسارًا فتخطف القلوب ، بينما يبصق بكثرة حتى إن المنطقة كلها صارت زلقة لاتصلح للوقوف .. وفى النهاية تجد الثغرة المناسبة فى عنقه فتهوى عليها بسيف اليد وللحظة تشعر كأنها شطرت الأرض ذاتها إلى شطرين ..

وبعد ثوان يتمدد (كاى ـ ون ـ شياه)..

يشير لها الحكيم بيده اليمنى ، ويشير إلى الثور الراقد على الأرض باليسرى .. ويهرع (جاك) يقدم لها بعض منقوع الشعير الطازج ، على حين يتقدم المصارع الثانى ..

المصارع الثانى هو (شيوى لينغ جيون) وهو من أساتذة الوثب ، ويبدو أن هذا الأسلوب يدعى (أسلوب الجندب) .. إنه رجل نحيل عصبى له ساقان طويلتان ، وهو يبدأ الوثب دومًا باتخاذ وضع القرفصاء ثم يفرد ساقيه ليحلق فوق الرءوس ، ويوجه بضع ركلات إلى الرأس فى أثناء التحليق .. إن أداءه جمالى لكنه خطر ..

وكانت (عبير) تعرف على كل حال كيف تحد من خطره ، لأن المعلم شرح لها كثيرًا أسلوب القضاء على الخصوم الوثابين ، وذلك بقفزة مضادة عرضية توجه ركلة إلى صدرهم .. وكراش ! لابد أن هذا

الصوت الذى سمعتموه كان من ضلوع الرجل ، لأنه من المستبعد أن يضع بعض البسكويت فى جيبه قبل القتال ..

ويسقط (شيوى لينغ جيون) على الأرض ينزف من فمه ، ويتقدم الحكم ليعلن انتصارها ..

الآن صارت مرهقة بحق .. ليس عدلاً أن تواجه وحدها خمسة رجال محترفين ، وكان قلبها يخفق كالطبل والعرق يغمرها .. لكنها نظرت إلى التنين الذى كان يعض على نواجذه فى حنق ، فسرها أنه غاضب ، وأنها أفسدت يومه ..

إنها قوية .. قوية بحق .. ولسوف تقهرهم جميعًا ..

يبعثر الحكم الأرز فيتقدم الثالث ، ويدعى (قو ـ هوا) .. إنه خبير فى أسلوب القتال اليابانى المعروف باسم (كاراتى) .. والحقيقة أنه أتعبها بالفعل .. كان سريع الحركة يعرف أين تكون الضربة التالية .. وكان يتواثب كالسنور ويهجم كالأفعى ، مطلقًا تلك الأصوات الرفيعة التى تشتت انتباهها ..



وفى النهاية تجد الثغرة المناسبة فى عنقه فتهوى عليها بسيف اليد وللحظة تشعر كأنها شطرت الأرض ذاتها إلى شطرين ..

لقد خارت قواها بعد المعركتين السابقتين ، وخطر لها أنها قادرة على هزيمة عشرين رجلاً بشرط ألا يكونوا من خبراء القتال الآسيوى .. إن الشراسة العادية مريحة جدًا ويمكن القتال معها بسهولة .. أما هذا ..

فى النهاية وبعدما أدركت أن المعركة ستطول قررت أن تصرخ ..

صرخة مريعة كانت .. صرخة عاتية كانت .. وللحظة شعرت بأنها ستنتزع حبالها الصوتية .. وبالفعل كان عليها أن تسعل دمًا بعد هذا .. الكثير منه .. مايهم هنا هو أن الرجل تجمد مذعورًا وهو لا يفهم سبب ولا سر هذه الصرخة ، وفى اللحظة التالية أجهزت عليه (عبير) بركلات متلاحقة سريعة .. والضربة الأخيرة أرسلته للوراء مترين ليسقط على الأرض فاقد الرشد ..

المصارع الرابع هو (لى ـ قوه ـ وان) .. وهو يمتاز بـ ... لا .. لن أحكى التفاصيل لأن هذا صار

مملاً لا يضيف جديدًا .. إن وصف القتال ـ كما قلت مرارًا ـ ممل كوصف الرقص أو وصف سيمفونية لبيتهوفن .. باختصار : لاجدوى منه لابد من أن ترى الشىء الحقيقى لتفهم وتنفعل .. نتيجة المباراة مع المصارعين التاليين هى (٢ ـ صفر) لصالح (عبير) ولم يكن هذا هينًا لكنه حدث ..

فى النهاية وقفت تلهث وتنتفض أمام التنين ، وبصوت مبحوح قالت :

ـ « لقد انتصرت أيها التنين .. وحان الوقت .. »

ومدت كفها بانتظار القلادة ..

ابتسم التنين فى سماجة ونظر لمن حوله .. ثم انفجر يضحك مطوحًا برأسه للوراء كما يفعل كل الأشرار فى تلك الأفلام .. ومعه راح الآخرون يضحكون .. وأخيرًا قال :

ـ « هل تتوقعين حقًا أن أمد يدى إلى عنقى وأعطيك القلادة ؟ »

- « لا أرى ما يمنـــع .. لقـد كسـبتها بشـرف ، ولا داعى لأن تجعلنـى أنتزعهــا بنفســى ؛ لأن هـذا يتنافى مع كونى فتاة مهذبة .. »

بدا الخبث على وجهه وقال :

- « هلا قلت لى إذن أين ذلك الفتى النـاعم الأوروبى الذى يرافقك ؟ »

★ ★ ★

١٠ـ مدسوس !

هنا قصر التنين :

يمكننا أن نرى عجلة التعذيب التى ربط إليها (جاك دلبيرت) الإنجليزى الذى انضم لـ (عبير) ، ويمكننا أن نـرى القيـود الحديديـة المحيطـة بعنقـه وسـاعديه وكاحليـه ، ويمكننـا أن نـرى كيف أن العجلـة تسـتند بثقلها إلى قطعة حجر بارزة فى موضع اتزان خطر .. قطعة الحجر مربوطة إلى عشرة حبال ، وكـل طرف من هذه الحبال يمتد مشدودًا إلى يد واحد من حراس عشرة يحيطون بالعجلة ..

لو جذب أحد الرجال ـ واحد فقط ـ الحبل لتحـرك الحجـر ، ولاختـل تـوازن العجلـة .. عندهـا تسـقط .. تسقط أين ؟ تسقط فى بئر عميقة مليئة بسائل مشتعل .. إن الصينيين خبـراء فى الحرائق ، وهـم مـن اكتشف

البارود والألعاب النارية وأغلب أعيادهم عبارة عن سلسلة لاتنتهى من المفرقعات .. لذا أؤكد لكم أن الموت ينتظر من يسقط فى هذه البئر ..

هذا هو المأزق الذى ابتكره التنين السادى، لـ (عبير) .. لو أنها كانت من الحماقة إلى حد أن تلتحم برجاله ، فلن تجد الوقت الكافى كى تمنع واحدًا .. واحدًا فقط .. من التخلى عن طرف الحبل وعندها يسقط تابعها وسط النيران ..

وقفت (عبير) متصلبة ترمق هذا المشهد المروع ، وتكورت قبضتاها فى عصبية ..

قال التنين فى ثقة :

ـ « كما ترين .. لقد اختطفنا الفتى وجئنا به هنا فى أثناء انشغالك بالمباريات .. وكما هو واضح فإننا لن نحصل على القلادة إلا بالقتال ، وأنت بارعة فيه .. أو بالحيل القذرة التى أفضلها كهذه .. كما هو واضح فالفتى تحت رحمتنا تمامًا ، وأى قتال من جانبك

سيزيد فرصة لحاقه بالجدود .. إن الغروب دان بعد قليل ، وقد اخترت ساعة الغروب كى يتخلى رجالى عن حبالهم ما لم تبدى إيجابية أفضل »

من بين أسنانها غمغمت :

ـ « أنت نذل .. أنت وغد .. أنت .. »

ـ « أعرف هذا .. لكنى أحب سماعه من الآخرين .. والآن القلادة من فضلك .. »

ـ « ما زال أمامنا وقت قبل الغروب .. »

وجلست على درجات السلم تستعرض الموقف .. تأملت وجه الفتى فوجدته يرمقها بنظرة ملتاعة كلها خوف وهلع .. نظرة من نوع : لا تلعبى ـ دور ـ البطلة ـ على ـ حسابى ..

جاء التنين فجلس جوارها ، وراح يضوع بعطر خانق .. ابتسم بعد قليل فى شيطانية وسألها :

ـ « تحبينه .. هه ؟ »

ـ « من ؟ »

ـ « تابعك الإنجليزى هذا .. »

قالت فى عصبية :

ـ « لا يهم .. لا يجب أن أهيم به حبًا كى أحاول إنقاذه من الاحتراق ..»

نظر التنين إلى خارج النافذة ، وقال :

ـ « إن الغروب دان .. يجب أن تقررى سريعًا »

★ ★ ★

هكذا نجد أنفسنا فى الموقف الذى بدأت به قصتنا ..

القوم ينتظرون ما عساه يحدث ، و(عبير) نفسها وقفت على بعد أمتار من (جيانغ ـ سه) ، تمضغ ضفيرتها الطويلة فى نهم وجزع ، بينما اشتعلت المشاعل فى كل صوب لتعطى الكلمة الأخيرة لهذا الجو الكابوسى الخانق .. رائحة الشحم المحروق الممزوجة بالعرق ، والدخان الذى يهيج الأحبال الصوتية ، وحرارة الجو الثقيلة .. ثم الوهج !

آه من الوهج الذهبى الكريه للنيران يرسم على الوجوه القلقة ألف ظل وظل ! ظلال تولد وتتلاشى بذات السرعة الخاطفة التى يولد فيها هذا القبس أو يخبو ..

ومدت يدها إلى صدرها تتحسس القلادة .. تستطيع أن تتخلى عنها الآن .. إنها تراث الأجداد وقسم مقدس ، لكن الضرورات تبيح المحظورات ..

مدت يدها إلى القلادة ، وعالجتها فى رفق .. ولكن .. آى ! إنها ساخنة كالنار ! إنها قطعة من حديد محمى يحرق الأنامل بلا رحمة .. ككل مرة جربت فيها عمل الشىء ذاته ..

كيف تعطيها للتنين إذن ؟

هنا سمعته يقول فى نوع من الفهم :

ـ « أعرف .. أعرف .. القلادة المسحورة تحاول أن تظل سرًا .. لكنها لن تصمد أمامى .. حاولى بجهد أكثر ، وتذكرى أن هناك طرقًا سهلة للحصول عليها .. أسهلها قطع رقبتك ! »

وهذه المرة قررت (عبير) أن تتخلى عن حملها مرة واحدة .. فلتسامحنى أيها المعلم العظيم (هياو ـ شى ـ فانج) .. لو كنت مكانى لفعلت ما أفعله .. استجمعت كل ما تملك من إرادة ، وجذبت القلادة .. اشتعل المعدن فى يديها وشمت رائحة اللحم المحروق ، وتطاير الشرر فى كل صوب .. لكنها تماسكت .. الدخان يملأ المكان ، وقد تراجع بعض جنود (جيانغ ـ سه) للوراء وهم يدارون وجوههم .. الرائحة .. الدخان .. اللهيب .. الألم ..

وفى النهاية سقطت القلادة على الأرض ، وبعدها سقطت (عبير) فاقدة الرشد ..

* * *

أفاقت من الغيبوبة لتجد نفسها ما زالت وسط هؤلاء القوم ، و(جاك) يسقيها بعض العصير من دورق كبير .. كان ألم الحريق يمزق ويعتصر جلدها .. جلد كفيها وجيدها .. لكنها قالت فى رضًا :

ـ « لابأس .. لقد أطلقوا سراحك يا (جاك) .. »

هنا سمعت صوتًا .. كان صوت التنين بالذات يقول :

ـ « دعك من السذاجة .. إن الفتى لم يكن أسيرنا قط ! ترى ألم يخطر لك لحظة أنه مدسوس عليك ؟ »

مدسوس عليك ؟ حقًا ؟ اشرأبت عيناها إلى عينى الفتى كى تتلقى الإجابة منهما مباشرة ، ولم يكن الجواب مطمئنًا بحق .. كان الجواب يقول بحق : نعم لقد فعلتها ..

نظرت إلى التنين الذى وقف يستمتع بالمشهد ، وفى يديه نصفا القلادة ، وتساءلت :

ـ « منذ متى ؟ من البداية ومع شراء النقانق لكلبى ؟ »

ـ « بل بعد المعركة الليلية التى هزمت فيها رجالى .. لقد أرسلت للفتى من يعده بالثراء وأول سفينة إلى وطنه ، لو سرق القلادة منك فى أثناء النوم ، أو استطاع أن يقتلك .. وقد قبل لكنه لم يجد الشجاعة الكافية ،

وهكذا شارك معنا فى تمثيلية عجلة الموت هذه .. »

ـ « أنت وغد ! »

ـ « صار كل هذا المديح مملاً .. إن الحيل القذرة هى البحر الذى يحب التنين أن يسبح فيه .. »

ـ « أتكلم عنه لا عنك .. »

والحقيقة هى أن (عبير) وجدت هذا مفهومًا .. أليس (جاك) هذا هو (شريف) كما يراه عقلها الباطن ؟ إذن فالخيانة سلوك وارد جدًا ، وكان عليها أن تعرف هذا وتتوقعه .. إن من يتلقى خطابات عاطفية ممن تدعى (رانية) ويحتفظ بها ، لجدير بأن يتظاهر بأنه فى صفها حتى يجد فرصة لقتلها ..

قالت بلا مبالاة دون أن تنظر إلى (جاك) :

ـ « أعتقد الآن أنك ستتخلص منه بعد ما حصلت على القلادة ؟ »

اتسعت عينا (جاك) رعبًا ونظر إليها وإلى التنين ، أما التنين فقال دون أن يرفع عينيه عن القلادة :

ـ « بالتأكيد .. بمجرد أن أفرغ من هذه .. »

ـ « إذن أرجو أن تمنحنى هذا الشرف ! »

ـ « لك هذا .. لقد كنت محاربة شريفة بالتأكيد »

تحول (جاك) إلى طفل مذعور ، ويبدو أنه بلل سرواله .. وارتجفت شفتاه وهو يقول للتنين:

ـ « لماذا ؟ لماذا ؟ »

ـ « لأن الأفعى لايمكن تربيتها يا بنى .. إنها قد تصلح للدغ أعدائنا ، لكنها ستلدغنا عند أول فرصة .. »

وزأر النمر الأليف لـ (جيانغ ـ سه) وهو يحاول التملص من قيوده ، وكان قد تعلم من المحادثات التى تطول بهذا الشكل أن الطعام قادم .. كل جدل مع التنين ينتهى بالعشاء .. هذا مؤكد ، وقد بدأ لعابه يسيل وعصارة معدته تتدفق طبقًا للقوانين البافلوفية الصارمة عن الانعكاس الشرطى ..

قال التنين وهو يعود إلى عرشه :

- « الآن فليأت الحكماء .. أريد قراءة المكتوب على هذه القلادة .. ضعوا هذين فى السجن حتى أفرغ »

★ ★ ★

فرغوا من الترجمة عند منتصف الليل ، وقد وضعوا نصفى القلادة على وسادة موشاة بالذهب ، وراحوا يفحصونها باختراع صينى عجيب بعض الشىء ، عبارة عن دورق من الماء المقطر له قدرة غير عادية على تكبير الصورة .. يبدو أن الغربيين يملكون شيئًا مماثلاً يطلقون عليه اسم العدسة المحدبة ، لكن ما من صينى يحترم نفسه يثق باختراعات الغربيين خاصة إذا كانوا هولنديين ، وكان اسمه (لى فان هوك) .. كانت العبارات مكتوبة بلغة صينية قديمة جدًا ، تعود لعهد قبائل (الشانج) والتى كانت تعبد (الشانج تاى) ..

أخيرًا قال أحد الحكماء ويدعى (فنج - لى) للتنين ، وهو يلمس الأرض بجبهته :

- « المجد لك أيها التنين العظيم .. إن هذه الطريقة خطرة جدًا ولا أحد يضمن ما يحدث .. »

قال التنين وهو يجرع المزيد من الشراب :

- « لا أحد يحصل على الأرز من دون أن يمشى فى الأوحال .. »

- « إننا سنفتح باب الجحيم ، وعندها لن نستطيع التراجع .. »

- « لاتزعجنى أكثر ! »

هذه كانت من التنين طبعًا ، وطوح الدورق ليصطدم بالجدار ويتهشم إلى ألف قطعة ، ثم إنه جرد سيفه ونهض ملوحًا به :

- « فليقل من يأبى مساعدتى ذلك الآن .. وأنا كفيل بأن أريحه من آلام كثيرة آتية »

وتبادل الحكماء النظرات وأدركوا أن عليهم القبول ..

★ ★ ★

١١ـ إنها تعمل !

بدأت التجربة عند مساء اليوم التالى..

كان الظلام والبرد يغطيان المدينة ، لكن مسيرة التنين ورجاله وحكمائه كانت تبدد البرد والظلام بكل المشاعل التى يحملونها ، وهم يتجهون إلى خارج المدينة .. إلى مقبرة المحاربين التى توجد على بعد ألف خطوة من أسوار المدينة ، وهى عبارة عن كهف واسع فى الجبل ، لا يجسر أحد على الدنو منه ..

* * *

« الفكرة هنا أن ما كتب على القلادة رهيب ، ويفتح أبوابًا من الشر لم يحلم بها الحكماء قط .. فقط حين يلتحم النصفان يكتمل الهول ، ويعرف الإنسان ما لم يكن له أن يعرف .. »

* * *

وكان (جيانغ ـ سه) بحاجة إلى القوة ، وقد عرف من الأسلاف والشيوخ مقدار تلك القوة السديمية التى تمنحها القلادة الكاملة لمن يملكها .. لكن من له بالقلادة الكاملة الآن ؟

* * *

« لو وجد (جيانغ ـ سه) هذا النصف ، فلسوف ترتجف الأجنة فى بطون أمهاتهم لهول ما سيسمعون .. »

* * *

وسط الحراس تمشى (عبير) وجوارها (جاك) ، وقد كبلا بالفلكة على الطريقة الشهيرة ، التى تجعل الرأس والكفين يخرجان من لوح خشبى يحمله السجين على كتفيه .. وكلاهما لا يعرف ما عليه أن ينتظره .. إنه الموت طبعًا ، ولكن كيف ؟ هذا هو السؤال ..

وتمنت (عبير) لو يظهر (المرشد) الآن ليخلصها من كل هذا ، لكنها تعرف جيدًا أن القصة الآن فى

الذروة ولم تبدأ النهاية بعد .. مثلما يغلى اللبن ويحتشد عند حافة الإناء قبل أن يهدأ أخيرًا ويستقر ، وما كان (المرشد) ليتجاهل قواعد القصة أبدًا إلا حين تتمنى هى أن تبقى أكثر ..

المشاعل فى كل صوب من حولهما ، بينما المسيرة الغامضة تتقدم نحو مقبرة الجنود ..

يقف التنين أمام باب الكهف ، ثم يأمر من معه بالتراجع جميعًا فلا يصحب إلا الحكيم المرتجف (فنج ـ لى) ، ويحمل كلاهما مشعلاً .. ثم يتذكر شيئًا فيشير إلى الجند كى يتركوا (عبير) تلحق بهما ..

ـ « أريدك أن ترى هذا .. فهو من حقك بالتأكيد .. »

فك الجنود ذلك اللوح الخشبى المقيت من حول عنقها .. ثم تقدم الثلاثة إلى الكهف ..

وكان الكهف من الداخل عطن الرائحة ، والوطاويط تحتشد على الهوابط من السقف لكنها لم تخش الضوضاء لحسن الحظ .. يمشون فى كثير من المشقة وسط

الصخور البارزة وفى الظلام الذى لا تبدده المشاعل إلى هذا الحد ..

وفى النهاية يتوقف التنين أمام جدار صخرى عملاق ويرفع المشعل ..

عندها تراهم (عبير) بوضوح ..

* * *

كانوا مختلطين بالصخر كأنهم حفريات عتيقة .. وساعد على هذا الانطباع أنهم كانوا ضخام الأجساد إلى حد مروع .. ربما يصل طول الواحد منهم إلى ضعفى قامتنا .. وكان الكلس يغطى ملامحهم ودروعهم ، لكنك تستطيع أن تتبين أنهم غلاظ الملامح بشعو الخلقة كالوحوش .. وكانوا يرتدون ثياب القتال ، وقد تجمدوا فى أوضاع عشوائية كأنهم لوحة جدارية مهيبة الضخامة .. لوحة ترتفع بطبقاتها إلى عشرة أمتار فوق مستوى البصر ..

يخرج التنين سيفه فتتوقع (عبير) ما سيحدث .. لا تعرف ما يقوم به بالضبط ، لكنه فى الغالب يتضمن أن تسيل دماء عذراء هنا .. كل هذه الطقوس

السحرية تتضمن دماء عذراء ، وفى الغالب سيتم ذبحها الآن ..

لكن التنين كان مجددًا غير نمطى .. لقد استل السيف ومزق به ساعده هو شخصيًا .. ويسيل الدم .. دم كثير راح يبعثره حول المكان ويلوث به الجدار الحجرى ، بينما الحكيم يضع نصفى القلادة أمام عينيه قصيرتى النظر ، ويغمغم بعبارات منغمة يبدو أنها نوع من الابتهال ..

الخطوة التالية كانت أن التنين لامس بالشعلة جسده هو شخصيًا ! نعم لامزاح هنالك .. لقد بدأ بإحراق نفسه بأعصاب جليدية لاتهتز ، ولاننكر أن المنظر راق لـ (عبير) كثيرًا برغم أنه مريع .. هناك أمل لابأس به أن يتحول التنين إلى شعلة ويموت ..

لكن الأمور ليست بهذه البساطة للأسف .. فقط اشتعلت النار فى عباءته بضع ثوان ، فراح يتمرغ فى الأرض والجدار الحجرى وهو يصرخ بعبارات لم تفهمها ، كأنه جن تمامًا ..

وأخيرًا همدت حركته .. فرقد على الأرض كمرضى الصرع الذين انتهت نوبتهم ..

فقط راح جسده يرتعش من آن لآخر ..

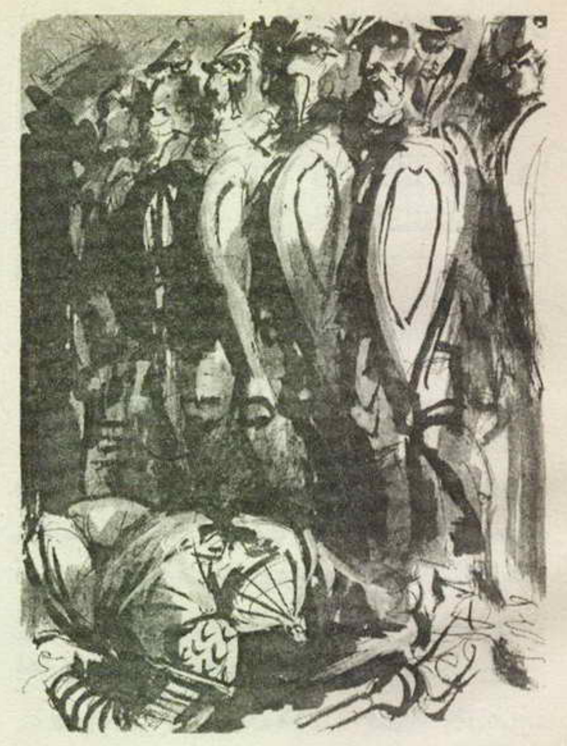
لاشىء سوى الصمت .. رائحة الشحم يحترق على المشعل .. الدخان .. صوت خافت لحفيف النيران والأنفاس الثقيلة .. ثم ..

ثم بدأ أول الجنود يتحرك ..

* * *

تراجعت (عبير) فى هلع للوراء ، وهى ترى هذه المسوخ تهشم الصخر .. يتناثر الغبار من حولها .. تبذل جهدًا عاتيًا كى تتحرر .. إنها لم تر تمثال العبد لـ (مايكل أنجلو) ، ولو رأته لتذكرته الآن .. هذا التمثال غير المكتمل الذى أثار رعب النحات نفسه .. إذ بدا له وكأن العبد يحاول التحرر من الصخرة التى تحيط به ..

أول الجنود يتحرر من الجدار ، ويهبط على أرض الكهف ، والغبار يتناثر منه وصوت قدميه الثقيلتين



وأخيراً همدت حركته .. فرقد على الأرض كمرضى الصرع الذين انتهت نوبتهم ..

إذ تضربان الأرض الحجرية يثير الفزع فى القلوب .. الغريب أنه كان مدججًا بالسلاح ، وكان لسلاحه قعقعة رهيبة .. جندى آخر يتحرر ..

الكهف يهتز من فرط هدير الأجساد المتساقطة ..

كانوا فى حالة جيدة ، إذا ما تجاوزنا عن القروح فى جلودهم ، وبعض الأنسجة المتحللة التى بدت من تحتها العظام .. هذه أشياء لا تعوق القتال على كل حال ..

حوالى ربع ساعة .. استغرق الأمر نحو ربع ساعة .. حتى تحرر كل الجنود المسجونين فى الجدار ، وكان الزحام شديدًا كما لنا أن نتوقع ، لذا احتشد أكثرهم فى أعماق الكهف .. وكان لهم صوت منفر شبيه بخوار الثيران .. حتى عضلاتهم تحدث صوتًا ..

ماذا كان من (جيانغ ـ سه) فى هذه اللحظات ؟ كان يرتجف انفعالاً ويرتجف رعبًا .. ويضحك بالهستيريا المناسبة ..

ماذا كان من الحكيم ؟ لقد فقد وعيه طبعًا ..

ماذا كان من (عبير) ـ (فو ـ لى) ؟ كانت تترنح

محاولة ألا تتقيأ .. وكان ما تراه لا يصدق .. هـذا هو إذن سر القلادة الغامض ؟

كان (جيانغ ـ سه) يردد :

ـ « الأجداد ! (شانج تاى) ! جنود (الشانج) العظام الذين لا يشق لهم غبار .. بهم سأحكم العالم !! »

وكان الكهف قد تحول إلى ما يشبه حافلات وسط القاهرة عند الظهيرة .. وهكذا أشار لها التنين كى تخرج ، ولطم الحكيم على خده كى يفيق .. وفى الخارج كان الواقفون قد سمعوا الأصوات الرهيبة ، وفهموا بعض الحقيقة وليست الحقيقة كلها .. خروا على ركبهم ورفعوا المشاعل غير مصدقين ..

فى البدء خرج سرب كثيف من الوطاويط المذعورة كأنه نذير بما سيحدث ..

التنين يتقدم شاحب الوجه .. ووراءه الحكيم أقرب إلى الجثة .. ثم (عبير) المرتجفة التى تلاشت شجاعتها تمامًا .. بعد هـذا يبرز أول الجنود .. يمشى

فى تؤدة وثقة .. له عين تحولت إلى تجويف أسود كريه ، ووجه خال من التعبير .. يقف على مدخل الكهف وينظر من حوله ، كأنه الكابوس فى ضوء المشاعل ..

هووووووووه ! صيحة رددها الواقفون رهبة وهلعًا ..

وصاح صائح منهم وقد تذكر شيئًا كهذا :

ـ « جنود (الشانج تاى) ! لقد أخرجهم من سباتهم كما فعل الساحر الهندى منذ أعوام .. »

وقال قائل :

ـ « إذن هم موتى ؟ »

ـ « بل هم فى سبات عميق ، لكن القلادة تخرجهم منه .. »

وبعد قليل بدأ المكان يزدحم بالجنود الخارجين من الكهف .. حوالى ألف منهم كلهم له ذات القامة الضخمة والتسليح المكتمل ، وذات الحركة المتصلبة المفزعة .. زومبى لو كان هذا اللفظ معروفًا فى الصين ..

أخيرًا استطاع التنين أن يقف أمام الحشود ، وصاح :

- « أيها الجند الشجعان ! اتبعونى ! إنكم معى تملكون العالم !! »

لم تبد علامات اهتمام على وجوه المسوخ الخارجة من الكهف ، فعاد التنين يكرر فى غيظ :

- « اتبعونى ! إنكم معى .. سوف .. »

هنا أغمد أقرب الجنود إلى التنين رمحه بين لوحى كتفيه ، ورفعه بالرمح فى الهواء كأنه راية خفاقة .. خفاقة من الألم طبعًا !

* * *

١٢ـ الطوفان يجتاح المدينة ..

يا للمذابح ! إنها جميعًا تتشابه بطريقة مملة ، لكن هذه المذبحة بالذات تختلف ؛ لأنها مذبحة يقوم بها جنود متحللون خرجوا من الكهوف حالًا ..

دعنى أؤكد لك أن المشهد لم يكن جميلًا .. دعنى أؤكد لك أن دماء كثيرة سالت .. دعنى أؤكد لك أن الصراخ كان يشق عنان السماء .. دعنى أؤكد لك أن جل أعناق رجال التنين قد طارت من فوق الكتفين ..

لقد حسب التنين أنه قادر على السيطرة على هذه الوحوش التى لا يمكن ترويضها ، وكان أول من دفع الثمن .. ثم لحق به ابنه وهو يحاول الفرار ..

ووجدت (عبير) نفسها وسط غبار القتال ، ووجدت مشعلًا ساقطا على الأرض فالتقطته ، ومدت يدها تعين الحكيم على النهوض .. لايجب أن يموت .. ليس الآن .. ليس قبل أن تفهم ..

كان الإنجليزى (جاك) يحاول الهرب والفلكة مازالت تحيط بمعصميه وعنقه ، هنا لحق به أحد الجنود .. كان بلا ذراع أيسر ، لكن ذراعه اليمنى كانت تحمل سيفًا صدئًا عملاقًا ، وكان هدفه بسيطا : أن يحرره من قيده بالطريقة الصعبة .. يعنى من دون تحطيم لوح الخشب !

بكى الفتى متوسلاً ، لكن الوحش كان ـ بحق ـ وحشًا ..

هنا قررت (عبير) أن الانتقام جميل ، لكن ليس بهذه الصورة وليس أمام عينيها .. رفعت المشعل وصرخت صرخة (تشوب سيوى) الشهيرة ، فتجمد الجندى مذهولا .. كان هذا كافيًا لتدفن المشعل فى وجهه ، ثم تحلق فى الهواء لتركله ركله قوية ، وتهبط على الأرض لتدفع الدجاجتين : الإنجليزى والحكيم إلى مكان آمن وسط هذه الفوضى ..

كان هناك منحدر على اليمين فلم تتردد فى أن تقذفهما فيه قذفًا ، ثم تثب خلفهما .. وهاهم أولاء يتدحرجون بين

الأشواك فى الظلام ليسقطوا فى بركة صغيرة عند أسفل المنحدر ..

أخيرًا يمكنها اللهاث والتقاط الأنفاس ، بينما المذبحة مستمرة هناك عند قمة المنحدر ..

* * *

قالت للحكيم وهى تغسل وجهها بالماء :

ـ « جميل جدًّا ما قمتم به .. أهنئك ! »

قال لها مذعورًا :

ـ « لقد أنذرناه ، وقلنا له : إن شيئًا كهذا حدث مع الساحر الهندى لولا أنه كان يعرف ما ينبغى عمله .. لكن منذ متى يصغى التنين لأحد ؟ »

ـ « وهل هؤلاء الجنود موتى ؟ »

ـ « لقد تم تجميدهم منذ قرون فى حالة سبات لا تنتهى إلا بطقوس معينة وفى حضرة القلادة ، وفى كل مرة كان من يعيدهم إلى العالم يدرك مدى ما تورط فيه ويجمدهم من جديد .. »

- « جميييييييل ! كيف كان هذا يتم ؟ »

- « لا أحد يعرف ! ولهذا تخلص أبو (جيانغ - سه) من القلادة كى لا تقع فى يد الحمقى .. »

فكرت (عبير) قليلاً ، ثم عادت تسأل الشيخ المبتل :

- ماذا كان يبغى من إعادتهم ؟

- « سؤال غريب يا ذات الغمازتين .. لماذا يرغب شرير فى الحصول على جنود لايمكن قهرهم ويمتثلون لكل أوامره ؟ هه ؟ إن الحياة ملأى بالألغاز حقًا .. »

صمتت (عبير) وانتظرت حتى يأتى الصباح .. فقط هشمت بسيف يدها الخشب المحيط بعنق الفتى وساعديه ، وقالت له دون حبور :

- « أنت حر .. يمكنك الرحيل لو أردت .. »

* * *

وما كان الصباح ليطلع على أكثر سكان المدينة لأن

الجند اكتسحوا كل شىء ، وأعملوا سيوفهم ورماحهم وقبضاتهم فى أهل المدينة ، ولم يكونوا ممن يسبون النساء كعادة الغزاة ، بل كل ما يريدونه هو القتل ..

أشعلوا النار فى الشوارع ، وبعثروا المحاصيل وسكبوا جرار اللبن ، وهدموا المعبد ، وحطموا تماثيل (بوذا) .. وسال اللبن فى الطرقات مختلطًا بالدم ، وحاول بعض التعساء أن يقاوموا .. لكن قوة الغزاة كانت قاهرة .. كان الواحد منهم قادرًا على أن يطوح بثلاثة رجال ؛ ليرتطموا بجدار على بعد عشرين خطوة .. المشكلة هنا أنك لا تعرف ماذا يريدون بالضبط ولا ما يحاولون إثباته .. هم لا يريدون مالاً ولا سلطانًا ولا شهوات ولا طعامًا .. الاستسلام لايجدى معهم .. إنهم يتمتعون بنفوس طاهرة عفيفة لا تبغى سوى القتل والذبح .. لا أكثر ولا أقل ..

* * *

وصحت (عبير) حيث رقدت جوار الغدير .. لم يكن (جاك) موجودًا .. ورأت الحكيم يحدق فى عنقها وقد اتسعت عيناه دهشة ..

ـ « عنقك يا ذات الغمازتين ! عنقك ! »

قالت فى ضيق :

ـ « ماذا عنه ؟ لم أحسبه بهذا الجمال قط .. »

قال وقد بدا كالمخبول :

ـ « لقد التهبت القلادة حول عنقك ، وتركت علامة بارزة هناك .. هذه العلامة تمثل رموزًا بارزة محفورة على ظهر القلادة ، ولايمكن تبينها من الوجه لأن النقشين لايتطابقان .. »

فى غباء تساءلت :

ـ « كل هذا جميل .. لكنى لا أفهم .. »

ـ « آثار الحرق على عنقك هى نقوش تحكى لنا كيف نتخلص من سحر القلادة ! »

بدا عليها الفهم أخيرًا وتحسست عنقها .. معقول .. لقد صارت الوصفة السحرية المضادة منقوشة على عنقها إذن .. ولكن :

ـ « لحظة .. لابد أن هذه نصف الوصفة .. »

فتح كفه ليكشف عن نصفى القلادة ، وقال وهو لا يخفى إعجابه بذكائها :

ـ « نعم .. لكن القلادة معى هنا ، ويمكن أن نضم النصفين معًا .. »

ـ « أفهم من هذا أنك تنوى حرق عنقى بالنصف الثانى من القلادة لتتكامل الرموز ؟ »

ـ « ليس إلى هذا الحد .. يمكننا أن نطبع الأثر على الطين ونرى .. »

وهكذا غمس الحكيم نصف القلادة الأول فى الطين ليطبع ما عليه ، ثم غمس النصف الثانى جواره .. وتأمل الأثر بعض دقائق ، ثم تدلى فمه فى خيبة أمل ، وقال :

- « للأسف .. يبدو أن القلادة معدة كى لاتسخن منها إلا الأجزاء التى تعطينا الرسالة .. »

صاحت (عبير) محتجة :

- « لاتقل إنك ستحرق عنقى لمجرد قراءة الرسالة كاملة ! »

ابتسم العجوز ولم يقل شيئًا ، إنما أخرج من عباءته قطعة من الكبريت ملفوفة فى الجلد ، وحكها فى حجر جاف فاشتعلت .. وضع نصفى القلادة عليها وانتظر حتى التهب المعدن وتوهج .. ثم ضغط النصفين على جلد ساعده الأيسر .. وآيييييى ! تصاعد الدخان ورائحة الشواء.. واستطاعت (عبير) أن ترى النقوش واضحة على الجلد العجوز المجعد ..

صاحت فى جزع :

- « لماذا فعلت ؟ كنت أحتج فحسب .. »

- « الوقت .. آى ى ! لايناسب الاحتجاجات ! »

وقربت رأسها من رأسه ، وأصغت إلى فمه العجوز المتهدل وهو يلفظ بكلمات السر ..

السر كاملاً ..

* * *

وفى المدينة - التى لم تعد كذلك - كان الجند منهمكين فى القتل والتمزيق والسلب .. بعضهم تأثر نوعًا بالمقاومة فصار بلا رأس أو ذراعين ، لكنه كان مصممًا على الاستمرار ..

اليوم يفرغون من المدينة المسحورة ، وغدًا يخرجون إلى العالم الخارجى .. ومن هناك تندفع جحافلهم ، وهم لايطلبون شيئًا من العالم سوى استرجاع أيام المذابح السعيدة ..

إن ألف جندى ليس بالعدد الهين ، خاصة إن كانوا من هذه العينة ..

فما يدرون إلا و(عبير) تبرز لهم فى الشارع الرئيسى بالمدينة أمام ساحة المعبد الذى تحول إلى خراب .. كانت تحمل سيفًا عملاقًا فى يدها ، وتلوح به فوق رأسها ، وصاحت بأعلى صوتها :

-« هلموا يا طعام الديدان ذوقوا هذا السيف .. »

تقدم عشرة منهم دون كلمة واحدة ، وقد انفتحت أفواههم لا ليسيل اللعاب بل الدم .. خطواتهم تهز الأرض هزًا ، وخوارهم يصم الآذان ..

صاحت صيحة حرب قصيرة ، ودارت حول نفسها فى الهواء ، ثم هبطت على ساقيها لتولج السيف فى جسد اثنين منهما .. وقبل أن يفر الثالث بادرته بضربة بين عنقه والكتف ..

إنهم يموتون ! بالحق هم يموتون !

وتدور (عبير) حول نفسها من جديد وتجثو على الأرض ، لتضرب بالسيف سيقان اثنين منهم ، ثم تثب فى الهواء لتطعن ثلاثة منهم ، ثم تتدحرج على الغبار وتنهض لينغرس السيف فى عنق واحد آخر ..

وهنا التف ذراع حديدى حول عنقها ، ورأت ذؤابة السيف تدنو من عنقها ..

لقد نسيت العاشر ؟ أين كان ؟

الذراع القوية تحملها فى الهواء ، وتوشك على .. على ..

هنا تخلت عنها القبضة قليلاً ، وسقطت على الأرض .. رفعت رأسها لتجد الفتى الإنجليزى يوجه اللكمات إلى خصر المعتدى .. لكمات مضحكة جدًا تشبه الدغدغة لكنها شتتت اهتمام المسخ قليلاً ..

وهوى السيف لا عليها هذه المرة ، ولكن على الفتى المتحمس .. لابد أنه شطره إلى نصفين طوليًا .. أنا لم أر المشهد لكن (عبير) رأته ، وسرعان ما غرست سيفها فى بطن المسخ ، فأصدر خوارًا ثم هوى على الأرض .. بوم !!

كادت تلحق بـ (جاك) لترى ما دهاه ، لكنها وجدت أن هذا غباء ومضيعة وقت .. الاحتضار ترف لا يملكه من شطروا نصفين بسيف محارب من (الشانج تاى) .. ربما استحق ما حدث له ، أو لم يستحق .. لكن ميتته تجعلها تسامحه على كل شىء .. لقد غسل بدمه حقدها عليه ..

استدارت إلى الجنود القادمين وصاحت :

ـ« بحق (تاى) العظيم .. تراجعوا .. »

ثم لوحت بالسيف الملوث بالدماء وهتفت :

ـ « الآن تعرفون هذا السيف ، وتعرفون أنكم ذقتم ويلاته من قديم ، وتعرفون أنه يستطيع أن يمزقكم حتى لو كنتم ألفًا نقصت عشرة .. وإننى لآمركم بالعودة إلى سباتكم .. »

ثم ـ بالصينيةالعتيقة التى حفظتها من الحكيم ـ هتفت مرارًا :

ـ« هوان يان تشاه .. هوان جينغقانغ تشاه .. »

ومعناها ـ إن لم تخنى الذاكرة ـ هو : من الصخور جئتم .. وإلى الصخور تعودون ..

عندها فقط تراخت أجساد الجنود العملاقة المتحللة ، وفى صمت بليغ بدأت المسيرة الصامتة البطيئة إلى الكهف .. ألف جندى يتقدمون نحو الكهف الذى جاءوا منه ليلتحموا بالصخور من جديد ..

وبدأت (عبير) تلهث ، وتستعيد دقات قلبها ..

هنا فقط تركت السيف يسقط من يدها .. وراحت ترتجف ..

ترتجف وسط الميدان الخالى إلا من الجثث وبقايا النيران ..

* * *

وحين جاء (المرشد) بعصاه يدعوها للحاق به قالت له :

ـ « أخيرًا .. »

تأبط ذراعها ، ومشى وسط كل هذا الهول طالبًا مخرج المدينة .. وسألها فى الطريق :

ـ « لم أفهم موضوع السيف هذا .. إنه غريب على .. »

ـ « هذا السيف المسحور قادر على إبادة هؤلاء المحاربين ، وهم يعرفون هذا ويهابونه حقًا .. وقد

دفنه فى الصخور جوارهم آخر من استحضرهم .. كان هذا مكتوبًا على ظهر القلادة .. »

- « جميل .. جميل .. أنت لم تضيعى وقتًا .. »

- « فقط كان السيف بحاجة إلى من يستخرجه وإلى من يزيل عنه الصدأ .. كان بحاجة إلى تشحيم .. »

سألها فى عدم اكتراث كعادته وهما يخرجان من بوابة التنين الذهبى :

- « وما نوع التشحيم الضرورى لسيف كهذا ؟ »

- « القلادة اشترطت أن يشحم بالدم ! دماء شيخ عجوز على وجه التحديد ! »

ثم نظرت للوراء وهمست :

- « رحمه اللّه ! لقد قام بهذه المهمة بنفسه .. ولو لم يفعل لما كنا هنا !! »

★ ★ ★

فى القصة القادمة نعود لعالم الأساطير الإغريقية ، ونتعرف أشخاصًا مثل : (باريس) و(أخيل) و(هكطور) والفاتنة (هيلانة) .. حيث أشرس معركة عرفها الإنسان ، وحيث توجد مهمة واحدة فى غاية الأهمية هى إنقاذ طروادة .

★ ★ ★

تمت بحمد اللّه

فانتازيا

مغامرات ممتعة
من أرض الخيال

روايات
مصرية للجيب

فليدخلْ التنِّين !



د. أحمد خالد توفيق

وفى الخارج كان الواقفون قد سمعوا الأصوات الرهيبة ، وفهموا بعض الحقيقة وليست الحقيقة كلها .. خروا على ركبهم ورفعوا المشاعل غير مصدقين .. فى البدء خرج سرب كثيف من الوطاويط المذعورة كأنه نذير بما سيحدث ... بعد هذا يبرز أول الجنود .. يمشى فى تؤدة وثقة .. له عين تحولت إلى تجويف أسود كريه ، ووجه خال من التعبير .. يقف على مدخل الكهف وينظر من حوله ، كأنه الكابوس فى ضوء المشاعل ..

القصة القادمة

من أجل طروادة

٨٨٠٠٢

ص
الثمن فى مصر ٢٠٠
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت : ٥٩٠٨٤٥٥ - ٥٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس : ٢٨٨٢٠٠٦

